The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Theology

Master of interpretation of the Qur'an and Science

الجامعـــــــة الإســـــلامية بغـــزة

عمـادة البحث العلمي والدراســـات العليـا

كـــليـــــــــــــــــــة أصول الدين

ماجســـــــــــتير التفسير وعلوم القرآن

المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

Monitoring and its Analogues in the Qur'an

(Objective Study)

إِعدَادُ البَاحِثِ

عبد الناصر محمود بحر

إِشرَافُ

الأُستاذ الدُكتُور/ زكريا إبراهيم الزميلي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامية بِغَزة

أغسطس/2018م – ذو القعدة/1439هـ

إقـــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

Monitoring and its Analogues in the Qur'an
(Objective Study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	عبد الناصر محمود بحر	اسم الطالب:
Signature:	عبد الناصر بحر	التوقيع:
Date:	2018/08/01م	التاريخ:

نتيجة الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س ع/35/
Ref: 2018/08/15م
التاريخ:
Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **عبدالناصر محمود فهيد بحر** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم - دراسة موضوعية

Monitoring and its Analogues in the Qur'an - Objective Study

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 3 ذو الحجة 1439هـ** الموافق **2018/08/15م** الساعة **الحادية عشرة صباحاً**، في قاعة **اجتماعات الكلية** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي	مشرفاً ورئيساً	.....
د. وليد محمد العمودي	مناقشاً داخلياً	.....
د. رمضان يوسف الصيفي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

الرقم العام للنسخة	3106801	اللغة	ع

التاريخ: ١٩/ ٩/ 2018

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ عبد الناصر محمود بكر

رقم جامعي: 120140338 قسم: التفسير وعلوم القرآن كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

260

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

عبد الناصر .....

إدارة المكتبة المركزية

أ/ محمود عبد الله الأغا

.....

الملخص

جاءت الرسالة بعنوان: (المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)، وقد هدفت هذه الرسالة إلى إبراز أهمية الموضوع الذي تمثل في بيان المراقبة وأهميتها كمنزلة إيمانية في حياة المسلمين، وانعكاسها على سلوكهم.

وقد سلك الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي والموضوعي والنقدي حسب منهج التفسير الموضوعي، وقام الباحث تحقيقاً لهذا الهدف بتوزيع الدراسة في عناوين، حيث شملت هذه العناوين الحديث عن المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم.

وقد جاء هذا البحث في (مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة) على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وقد اشتمل على أهمية المراقبة، وبواعثها، وتفاوتها.

ثم تطرق الباحث في فصول الرسالة الثلاثة إلى المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم، وانعكاسها على سلوك المسلم، وعواقب الإعراض عنها.

وفي ختام الرسالة استنبط الباحث أهم النتائج والتوصيات، مع الفهارس.

ABSTRACT

Observance and its Analogies in the Holy Qur'an
(An Objective Study)

The title of the study: "Observance and its Analogies in the Holy Quran - An objective Study." This study aims at highlighting the importance of observance as a rank of faith in the lives of Muslims and its impact on their behavior.

In his study, the researcher used the inductive, objective and critical approaches according to the methodology of objective interpretation. In order to achieve this goal, the researcher divided the study into a number of titles, which included discussing observance and its analogies in the Holy Quran.

This study is divided into a preface, an introductory chapter, three chapters, and a conclusion) as follows:

The preface explains the importance of the subject, the reasons for selecting it, the study objectives, review of literature, and the research methodology.

The introductory chapter discusses the importance of observance, its motives, and its variability.

In the following three chapters, the researcher addresses explains observation and its analogies in the Holy Quran, and its reflection on the behavior of Muslim as well as the consequences of disregarding it.

At the conclusion of the study, the researcher drew the most important findings and recommendations, and included indexes.

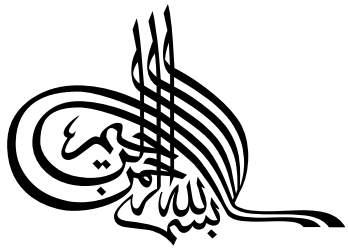

قال الله جل في عُلاه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

[المجادلة:3]

الإهداء

- إلى الوالدين العزيزين رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته، وغمرهما بعظيم رضوانه.
- إلى رفيقة الدرب الغالية أم أحمد التي بذلت جل طاقتها لتوفر لي كل أسباب الراحة والسعادة والهناء.
- إلى ابنائي الأعزاء: أسماء، وأحمد، وريهام، ومحمود، وسندس، ومحمد، ورغد، ومروة، وأنس حفظهم الله جميعاً وجمعني بهم في مستقر رحمته دون سابقة عذاب ولا مناقشة حساب.
- إلى العلماء الأخيار، الذين اصطفاهم الله تعالى ليكونوا ورثة الأنبياء ...
- وإلى شهداء ومصابي مسيرات العودة، راجياً الله للشهداء الرحمة والقبول، وللجرحى أن يعجل في شفائهم، وأن يجعل ما بذلوه من دماء وألم في موازين حسناتهم يوم القيامة.
- إلى المشرف الغالي الأستاذ الدكتور/ زكريا بن إبراهيم الزميلي.
- إلى الأخ العزيز والصديق الصدوق الأستاذ/ شوقي بن أحمد شعبان.
- إلى حضرات السادة الأخيار أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أصول الدين، حماهم الله ورعاهم.
- إلى الإداريين في الكلية، وأخص بالذكر طيب الذكر الأستاذ/ أدهم علي عمار، حفظهم الله جميعاً.
- إلى كل صادق غيور حريص على دينه.
- إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع، سائلاً الحق جل وعلا أن يجعله عملاً متقبلاً خالصاً لوجهه الكريم.

الباحث

شكر وتقدير

- تطبيقاً لقوله تعالى: [**... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**] {الأحقاف:15}.
- وامتثالاً لقول النبي الكريم ﷺ: **(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)**[1]، يطيب لي أن أتقدم بالشكر والعرفان لكل من مد لي يد العون والمساعدة حتى خرجت هذه الرسالة بصورتها النهائية.

يطيب لي أن أتقدم بالشكر والعرفان لكلٍ من:

- المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ **زكريا إبراهيم الزميلي** – استاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية اصول الدين بالجامعة الإسلامية – الذي لم يألُ جهداً ولم يبخل عليّ بنصيحة أو توجيه أو ملاحظة سديدة، والذي صبر عليّ كثيراً طوال مشواري البحثي.
- أستاذاي الفاضلين في لجنة المناقشة:

  فضيلة الدكتور/ **وليد محمد العمودي**

  فضيلة الدكتور/ **رمضان يوسف الصيفي**

- كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، وأخص بالذكر قسم التفسير وعلوم القرآن.
- عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية.
- الصرح الأكاديمي العظيم (الجامعة الإسلامية بغزة) رئيساً ونواباً وإدارة وعاملين ...

والله أسأل التوفيق والرشاد للجميع.

(1) صحيح الأدب المفرد، تحقيق: الألباني، ج1، ص99، رقم الحديث 160/218، وقال الألباني: صحيح.

فهرس المحتويات

إقـــــــرار ..... أ
نتيجة الحكم..... ب
الـمـلـخـص ..... ت
ABSTRACT ..... ث
الإهـداء ..... ح
شكر وتقدير ..... خ
فهرس المحتويات ..... د
الـمـقدمـــة 1
تـمـهـيــد 6
الفصل الأول 14
المراقبة: معانيها وسياقها واشتقاقاتها ونظائرها في السياق القرآني ويشتمل على ثلاثة مباحث: 14
المبحث الأول 15
المراقبـــة ومعانيهـــا 15
المطلب الأول 15
المراقبـــة لغـــة 15
المطلب الثاني 16
المراقبـــة اصـطـلاحـاً 16
المطلب الثالث 17
العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للمراقبة 17
المبحث الثاني 18
المراقبة في السياق القرآني بين المكي والمدني ، واشتقاقاتها 18
المطلب الأول 18
المراقبة في القرآن المكي 18
المطلب الثاني 19
المراقبة في القرآن المدني 19
المطلب الثالث 20
اشتقاقات المراقبة في القرآن الكريم 20
المبحث الثالث 22
نظائر المراقبة في السياق القرآني 22
المطلب الأول 22
النظير الأول: اسم الله (الحفيظ) 22
المطلب الثاني 30
النظير الثاني: اسم الله (العليم) 30

المطلب الثالث 33
النظير الثالث: اسم الله (السميع) 33
المطلب الرابع 36
النظير الرابع: اسم الله (البصير) 36
المطلب الخامس 38
النظير الخامس :اسم الله(الخبير) 38
الفصل الثاني 41
المراقبة: حقيقتها وأنواعها 41
المبحث الأول 42
حقيقـــة المراقبـــة 42
المطلب الأول 42
المراقبة في العبادات والمعاملات 42
المطلب الثاني 51
المراقبة بين الحقوق والواجبات 51
المطلب الثالث 70
المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى 70
المبحث الثاني 74
أنـــواع المراقبـــة 74
المطلب الأول 74
مراقبة الله تعالى للعبد 74
المطلب الثاني 81
مراقبة العبد لنفسه 81
المطلب الثالث 84
مراقبة العبد للعبد 84
الفصل الثالث 87
سمات المراقبة وثمراتها ونماذج عنها وعقوبات تركها 87
المبحث الأول 88
سـمـات المـراقبـة 88
المطلب الأول 88
العلم مع الخَشـية 88
المطلب الثاني 91
اسـتجابة القلـب 91
المطلب الثالث 96
المداومة على الذكر 96
المبحث الثاني 99
ثمرات المراقبة في الدنيا والآخرة 99

المطلب الأول 99
ثمرات المراقبة في الدنيا 99
المطلب الثاني 127
ثمرات المراقبة في الآخرة 127
المبحث الثالث 136
نماذج من أحوال أهل المراقبة 136
المطلب الأول 136
مراقبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام 136
المطلب الثاني 142
مراقبة النبي ﷺ وصحابته الميامين – رضي الله عنهم 142
المطلب الثالث 148
مراقبة الصالحين 148
المبحث الرابع 152
عقوبات ترك المراقبة 152
المطلب الأول 152
عقوبة قوم لوط - عليه السلام 152
المطلب الثاني 155
عقوبة فرعون وجنده 155
المطلب الثالث 158
عقوبة أصحاب الأخدود 158
المطلب الرابع 160
عقوبة قوم ثمود 160
الخاتمة 162
أولاً – نتائج البحث: 162
ثانياً – أهم التوصيات والمقترحات: 163
المصادر والمراجع 165
الملاحق 183
أولاً – :فهرس الآيات القرآنية: 183
ثانياً – :فهرس الأحاديث النبوية: 192

المقدمــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن قضية الإيمان هي القضية الكبرى في حياة الإنسان، لهذا نجد القرآن الكريم أفرد لها مواضع كثيرة تبرز هذه القضية، كقوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا]** {مريم:96}، وقد خاطب القرآن الكريم العقل باعتباره مشرق أنوار الدين، حث النفس الإنسانية من خلاله على التحلي بأزين مراتب الإيمان والأخلاق والأعمال.

ولما كان الإيمان مراتب نبعت منها الأعمال، قُسمت الدرجات في الجنات تبعاً لهذه المراتب والأعمال، قال تعالى: **[هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ]** {آل عمران:163}.

وقد حث القرآن الكريم على استخدام العقل في مواضع كثيرة ليقود النفس الحائرة المضطربة إلى شاطئ الأمان، قال تعالى: **[قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]** {سبأ:46}، والعقل الذي لا يقود صاحبه إلى النجاة من النار، هو عقل مفلس فاجر، لا فائدة تُرجى من ورائه، قال تعالى حكاية عن أهل النار: **[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]** {الملك:10}، فالفرقة الناجية من النار هي فرقة مفكرة عاقلة تسمع وترى، تتدبر وتتفكر في عمق النصوص وما تُرشد إليه من خير الدنيا وسعادة الآخرة.

إذاً لا جدال أن العقل الراجح السليم يقود إلى الإيمان بالله تعالى، ومن ثم الالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

ومراقبة الله تعالى مرتبة هي أعلى مراتب الإيمان، من تحلى بها وعاش ينهل من رحيقها فقد وضع قدمه على أول الطريق المفضي إلى السعادة السرمدية، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك).**[1]

والإيمان هو الشغل الشاغل لكل المؤمنين، به يتقربون إلى خالقهم – سبحانه وتعالى –

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي ﷺ، تحقيق: محمد الناصر، ج1، ص19، رقم الحديث 50.

والإيمان يتدرج من مرتبة إلى أخرى بحسب حال العبد، والمراقبة مرتبة من مراتب الإيمان، صنفها أهل العلم بأنها أرقى مراتب الإيمان، من عاشها فقد دخل جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، لما يجده العبد من لذة في الطاعات، وأُنس بالقربات.

أهمية الموضوع:

هذا الموضوع له أهمية كبرى تتمثل فيما يأتي:

1. جاء هذا الموضوع ليعالج الخلل في الفكر والسلوك عند كثير من المسلمين.
2. إن هذا الموضوع لم تفرد له رسالة ماجستير، فأردت إثراء مكتبة القرآن بإضافة جديدة ينتفع بها الدارسون وكذا أبناء الأمة الإسلامية.
3. بيان أهمية المراقبة في حياة المسلمين.
4. الحاجة الماسة لوجود جهة رقابية تضبط أداء الموظفين في الدولة.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلي:

1. غفلة كثير من المسلمين عن استشعار مراقبة الله تعالى.
2. إن هذا الموضوع لم تفرد له رسالة ماجستير، وافتقار مكتبة القرآن لهذا النوع من الأبحاث.
3. الترهل الواضح في كثير من المؤسسات وتفاقم المشاكل الناجمة عن الاعراض عن مفاهيم القرآن الكريم ومن أهمها الحقوق والواجبات والذي يعود في أساسه إلى غياب المراقبة في وجدان النفس الانسانية.
4. ابراز ملكة المراقبة حتى تتحقق مبادئ العدل والمساواة.

الجهود والدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في مكتبة الجامعة الاسلامية ومراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية لم أجد أي بحث يتحدث عن الموضوع بشكل علمي، اللهم إلا بعض المقالات والدروس على الانترنت التي لم تعطِ الموضوع حقه الكافي.

أهداف البحث:

1- بيان أهمية المراقبة في حياة المسلمين.

2- تنمية المراقبة لدى الفرد المسلم .

3- بيان أن المراقبة تختص بكل شرائح المجتمع المسلم.

المنهجية المتبعة في البحث:

تم اتباع المنهج الاستقرائي والموضوعي والنقدي وذلك من خلال:

1. جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع إما باللفظ المباشر أو بألفاظ قريبة منها، أو ألفاظ لها اتصال بها.
2. الوقوف على تفسير الآيات، ووضع الأسماء المناسبة لها، وتحليلها وربطها بالواقع.
3. توزيع الآيات على المواضيع، وتقسيمها إلى فصول ومباحث ومطالب، كلُ حسب الموضوع والدلالة والأهمية.
4. استنباط أهم الدروس العملية والنتائج الواقعية وتقديمها لولاة الأمر، وذلك بعد ربط هذه الآيات بمواقف القرآن.
5. الاستشهاد بمواقف السنة أحياناً لما لها من أثر في توضيح المعنى القرآني، وكذلك أقوال بعض السلف والمعاصرين.
6. توثيق المادة العلمية في البحث كما يلي:

أ. عزو الآيات إلى موضع وجودها في الكتاب العزيز بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن.

ب. إذا ورد الحديث في الصحيحين يُكتفى بهما، وإن ورد في غيرهما يتم تخريجه وذلك بذكر اسم المؤلف ثم الكتاب فالجزء فالصفحة.

ج. تعريف الأعلام المغمورين الوارد ذكرهم في البحث بصورة مختصرة.

د. توثيق أقوال العلماء والنقول بإحالتها إلى كتبهم بذكر الجزء إن وُجد ورقم الصفحة.

هـ. عمل الجداول المناسبة.

خطة البحث:

تتضمن خطة البحث مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي كما يلي:

<u>تمهيد</u>: المراقبة أهميتها وبواعثها وتفاوتها، وفيه:

أولاً: أهمية المراقبة.

ثانياً: بواعث المراقبة.

ثالثاً: تفاوت المراقبة.

الفصل الأول

المراقبة: معانيها وسياقها واشتقاقاتها ونظائرها في السياق القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراقبة ومعانيها

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المراقبة لغة.
- المطلب الثاني: المراقبة اصطلاحاً.
- المطلب الثالث: العلاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي للمراقبة.

المبحث الثاني: المراقبة في السياق القرآني بين المكي والمدني، واشتقاقاتها

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المراقبة في القرآن المكي.
- المطلب الثاني: المراقبة في القرآن المدني.
- المطلب الثالث: اشتقاقات المراقبة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: نظائر المراقبة في السياق القرآني

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: النظير الأول: اسم الله (الحفيظ).
- المطلب الثاني: النظير الثاني: اسم الله (العليم).
- المطلب الثالث: النظير الثالث: اسم الله (السميع).
- المطلب الرابع: النظير الرابع: اسم الله (البصير).
- المطلب الخامس: النظير الخامس: اسم الله (الخبير).

الفصل الثاني

المراقبة: حقيقتها وأنواعها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المراقبة في العبادات والمعاملات.
- المطلب الثاني: المراقبة بين الحقوق والواجبات.
- المطلب الثالث: المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى.

المبحث الثاني: أنواع المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مراقبة الله تعالى للعبد.
- المطلب الثاني: مراقبة العبد لنفسه.

- المطلب الثالث: مراقبة العبد للعبد.

الفصل الثالث

سمات المراقبة وثمراتها ونماذج عنها، وعقوبات تركها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: سمات المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: العلم مع الخشية.
- المطلب الثاني: استجابة القلب.
- المطلب الثالث: المداومة على الذكر.

المبحث الثاني: ثمرات المراقبة في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ثمرات المراقبة في الدنيا.
- المطلب الثاني: ثمرات المراقبة في الآخرة.

المبحث الثالث: نماذج من أحوال أهل المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مراقبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- المطلب الثاني: مراقبة النبي ﷺ وصحابته الميامين – رضي الله عنهم.
- المطلب الثالث: مراقبة الصالحين.

المبحث الرابع: عقوبات ترك المراقبة

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: عقوبة قوم لوط – عليه السلام.
- المطلب الثاني: عقوبة فرعون وجنده.
- المطلب الثالث: عقوبة أصحاب الأخدود.
- المطلب الرابع: عقوبة قوم ثمود.

سادساً: الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

سابعاً: الملاحق، وتتضمن:

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية.

ثامناً: المصادر والمراجع.

تمهيد

للمراقبة أهميتها وبواعثها وتفاوتها، ولنتعرف على كل واحدة منها على النحو الآتي:

أولاً – أهمية المراقبة:

تكمن أهمية مراقبة الله سبحانه وتعالى في الوصول إلى مجتمع مراقِب يخشى الله عز وجل عن علم وفهم، هذا المجتمع الذي تُرتجى من ورائه قيادة البشرية الحائرة إلى تطبيق الإسلام قولاً وعملاً، وقد ارتضت الأمة الإسلامية النبي ﷺ كقدوة يقودها إلى منافع الدنيا وسعادة الآخرة، فهاهو ﷺ يخاطب صاحبه في الغار في أحلك المواقف والظروف، ويقول كما أخبر عنه سبحانه وتعالى **[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]** {التوبة:40}.

لذا تكمن أهمية هذا البحث في صقل شخصية الفرد المسلم وإعدادها ليكون عبداً ربانياً يخضع وينقاد لأوامر الله عز وجل، ويتجنب مساخطه ومناهيه.

ثانياً – بواعث المراقبة:

إن من نظر في أحوال الكون أدرك أنها أسباب يسببها الله تعالى، فيغلب على قلبه أن الرزق بيد الله، كما يطمئن قلبه بأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فيقبل على العبادات، ويتجنب الآثام، وإن من شأن ذلك أن يثمر صدق مراقبة الله في الخلوات والجلوات والسكنات والحركات، واجتناب الآثام والخطايا والسيئات.

وإن من ثمرة هذه المراقبة كون المؤمن متأدباً وقوراً في جميع الأحوال، كأنما هو جالس بحضرة ملك عظيم ينظر إليه فيتحرى ويتحرز من كل هيئة تخالف الوقار.

"إن الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل، هو أكمل ألوان التفكير الإنساني، ونحن نلمس أن الإنسان لن يصلحه إلا اعتقاد روحاني يبعث في النفوس مراقبة الله تعالى ..."[1]

لذا فإن فهم بواعث المراقبة يكمن في فهم أركان الإيمان الستة، وتفصيل ذلك كما يلي:

قال سبحانه وتعالى: **[آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا**

---

[1] رسائل حسن البنا، البنا، ج1، ص240.

وَإِلَيْكَ المَصِيرُ] {البقرة:285}، ذكرت الآية الكريمة أربعة أركان للإيمان، هي: الإيمان بالله تعالى والملائكة والكتب والرسل، وفي موضع آخر من نفس السورة قال سبحانه وتعالى: **[لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَالمَلَائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ]** {البقرة:177}، فقد بينت الآية الكريمة ركنا آخر من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر، وقد جاءت السنة المطهرة شارحة ومفصلة لما في القرآن الكريم، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جاء على شكل أعرابي يسأل النبي ﷺ عن الإيمان، حيث قال: (فأخبرني عن الإيمان، قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**).[1]

وبهذا يظهر جلياً من النصوص الكريمة أركان الإيمان الستة التي يقوم عليها، وسنتعرض لهذه الأركان بشكل موجز:

إن معنى **الإيمان بالله** تعالى الاعتقاد الذي لا مرية فيه أن الله تعالى هو رب كل شئ وخالقه ورازقه، وأنه تعالى المتفرد باستحقاق العبادات كلها، وأنه الموصوف بنعوت الجلال وأسماء الكمال المنزه عن كل نقص.[2]

ويتضمن الإيمان بالله تعالى ثلاثة أنواع من التوحيد هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الالوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.[3]

إن للإيمان بشاشة تخالط القلوب وتنعكس على السلوك، والخلق كلهم مفطورون على العلم أن للكون خالقاً يدبر فيه الأمر، ويسيّر السنن الكونية، قال تعالى: **[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]** {لقمان:25}.

ومن عَلم أن للكون إلها له هذه الصفات، فلا شك أنه سيخضع وتلين جوارحه ويسلم أن

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، ص36، رقم الحديث 8.

(2) الإيمان، ياسين، ص4.

(3) السهل في العقيدة، شحادة، ص18.

الله تعالى رقيب على خلقه، يعلم بواطن نفوسهم، فإذا تقرر هذا الفهم، وترسخ هذا الاعتقاد في النفس، ظهر جلياً على أفعال واقوال العبد.

إن **الإيمان بالملائكة** هو الاعتقاد اليقيني بوجود الملائكة، وأن منهم مَن يراقب العبد ويكتب ويحسب عليه، قال تعالى: **[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]** {ق:18}،[1] فيؤمن المسلم عقيدة بأن لله ملائكة هم عُمّار السماء وآخرون للجنة وغيرهم للنار، ومنهم من يلزم العبد طوال حياته، قال تعالى: **[كِرَامًا كَاتِبِينَ]** {الانفطار:11}.

وإن الإيمان بالملائكة جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم، فلا يكتمل إيمانه إلا به، والإيمان بالملائكة يصقل شخصية المسلم، ويفتح بصيرة لُبّه، إذ إن الإيمان بالملائكة يتصل بعمل العبد من جهة مراقبة الله له.

وإن الإيمان بالملائكة له أثر جد عميق في أغوار النفس المؤمنة، فهو يربي في الذات الشعور بالمسئولية عن العمل، ويزن السلوك بميزان مراقبة الله تعالى لهذه النفس، فيرسخ فيها معنى الاستعداد للقاء الله واستشعار عظمته، فينعكس سلوكاً إيمانياً يزاحم به الملائكة حتى يصير عبداً ربانياً، وقد فهم سلفنا الصالح هذا المعنى أشد الفهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب حتى دخل حائطاً[2] فسمعته يقول: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ، والله بنُي الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك.[3]

إن **الإيمان بالكتب** هو التصديق بكتب الله التي أنزلها على رسله، وأنهم بلغوها للناس،[4] وإن الإيمان بالكتب السماوية هو من أصول الإيمان، والتكذيب بها هو كفر بواح، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا]** {النساء:136}.

والإيمان بالكتب هو الطريق المفضي إلى رضوان الله، فنؤمن بأن الله تعالى أنزل الكتب على الأنبياء والرسل بصائر وشرائع توضح للأقوام والأمم الحلال والحرام حتى تسير وفق منهج الله ويؤمن المسلم أن القرآن الكريم جاء ناسخاً لكل الكتب السماوية السابقة، قال تعالى: **[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ**

---

(1) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، آل الشيخ، ج31، ص16.

(2) الحائط هو البستان، يُنظَر: فتح الباري، ابن رجب، ج2، ص485.

(3) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عطا، ج3، ص222.

(4) الرسل والرسالات، الأشقر، ج1، ص299.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] {المائدة:48}، فالقرآن الكريم جاء ليصدق ما قبله من الكتب، وهو خاتمها، وهو العصمة من الضلال، والمنهج الرشيد الذي ارتضاه لنا رب العزة سبحانه وتعالى.

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال ﷺ: **(أمتهوكون[1] أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي).**[2]

يقول سيد قطب: "فحياة الناس لن تستقيم إلا إذا كان المنهج من مصدر واحد يملك سلطان القلوب والسرائر كما يملك السلطان على السلوك ثم يجازي البشر في دار القرار".[3]

إذا ارتقى المسلم بهذا الفهم الواسع سيرتقي معه الفهم لمراقبة الله تعالى.

وإن **الإيمان بالأنبياء والرسل** يعني أننا نؤمن أن الله تعالى أرسل الأنبياء وبعث الرسل وأيدهم بالمعجزات المثبِتة لصدقهم، وأنهم كانوا أتقى وأعلم الناس بربهم تعالى.[4]

والإيمان بالأنبياء والرسل يعني أن الله تعالى أرسل رسلاً مأمورين بشرائع جديدة تسوس الناس،[5] ويؤمن المسلم أن الله تعالى أرسل رسله وأنبياءه، منهم من ذُكر في القرآن وأعرض صفحاً عن آخرين، قال تعالى: **[وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]** {النساء:164}.

ويبعث الإيمان بالرسل في نفس المؤمن الطمأنينة إلى أن الله تعالى أرسل رسلاً بمناهج ربانية لأقوامهم، فمن عاش عليها عاش بخير، ومن مات عليها مات تحوطه رحمة الله، قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ**

---

(1) متهوكون: أي متحيرون متشككون ومترددون في الإسلام. ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، ج1، ص282.

(2) مشكاة المصابيح، التبريزي، كتاب الإيمان/ باب الاعتصام بالكتاب والسنة، تحقيق: الألباني، ج1، ص63، رقم الحديث 177، رواه أحمد والبيهقي، وقال الألباني: حسن.

(3) في ظلال القرآن، قطب، ج6، ص895.

(4) شرح العقيدة الطحاوية، ج1، ص315.

(5) الرسل والرسالات، الأشقر، ج1، ص15.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] {البقرة:62}.

وأما الذين زعموا أنهم آمنوا بالله وأرادوا التفريق بين الله ورسله، فقد حكم الله عليهم بالكفر، قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا]** {النساء:150}.

وإن **الإيمان باليوم الآخر** هو التصديق أن اليوم الآخر قادم حتماً لا محالة، والعمل لذلك اليوم ويتضمن الإيمان بعلامات الساعة، وبالحياة بعد الموت، وفتنة القبر، وتفاصيل المحشر كنشر الصحف والميزان والصراط والحوض ...إلخ.[1]

كما أن الإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى سيبعث العباد للحساب يوم القيامة، والإيمان باليوم الآخر من آكد مقتضيات الإيمان، قال تعالى: **[لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ]** {القيامة:1}، وقال سبحانه **[زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ]** {التغابن:7}، فقد أظهرت الآيات الكريمة حتمية يوم القيامة الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين لتجزى كل نفس بما كسبت، فالآيات وأمثالهما تقرران عقيدة المسلمين المتمثلة في الإيمان باليوم الآخر، ولا شك بداهة أن هذا الركن من مستلزمات الإيمان بالله تعالى.

وقد حفلت آيات القرآن الكريم بالعديد من المواقع التي ذكر فيها اليوم الآخر، للدلالة على التعظيم والتهديد والحث على العمل الصالح والتزود لدار المعاد، والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بالحياة بعد الموت والتي تبدأ من الموت حتى دخول الجنة أو النار.

والإيمان باليوم الآخر يجعل النفوس ذوات الفطر السليمة تطمئن إلى عدل الله سبحانه وتعالى، فيعاقب الظالم، ويجزي الطائع، قال سبحانه وتعالى: **[وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا المُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ]** {غافر:58-59}، تشير الآيتان الكريمتان إلى العدل الإلهي المطلق يوم القيامة، فليست الموازين واحدة، وليس أهل الصلاح كأهل الإساءة، وهذا بدوره يشكل أكبر حافز للمؤمنين بهذا الركن كي يتزودوا ويستعدوا بجمالات الأعمال التي ستُعرض في الصحف على رب العباد، أما الذين جحدوا هذا الركن فقد انعكس هذا الجحود على معتقداتهم ومن ثم على أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، ولذا حذر النبي ﷺ من هذا الجحود والإنكار في مواضع عديدة، فبين في أحاديث كثيرة أن من يعذبون في

(1) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، ج1، ص55.

قبورهم قد سلكوا مسلك الإنكار لهذا الركن العظيم.

إن هذا الحديث يثير في النفس الخوف من الاستخفاف باليوم الآخر، ويجعل النفس ترتقي بالسلوك والقول والمعتقد، مما يوجد في النفس المراقبة الذاتية التي تضبط وتوجه هذه النفس إلى طاعة الله جل جلاله.

وأما **الإيمان بالقضاء والقدر** فهو النظام المحكم الذي وضعه الله للوجود، والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها،[1] ولهذا فعقيدة المسلمين مبنية على الاعتقاد بصفات الله تعالى والتي منها القدرة، قال تعالى: **[تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]** {الملك:1}، يقول الطحاوي: "وكل شئ يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن".[2]

والإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، وهو ركن لا تنفصم عراه عن عقيدة المسلمين، قال سبحانه وتعالى: **[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]** {القمر:49}، وقال سبحانه وتعالى: **[اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ]** {الرعد:8} ، وفي الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا لدخلت النار)**.[3]

يسكب الإيمان بالقضاء والقدر في قلب المؤمن الطمأنينة، ويبث في روعه السكينة، ويفيض على النفس السعادة وصلاح البال والأدب الجم والتعظيم لله سبحانه وتعالى، وتوقير النبي ﷺ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قُبض.[4]

إن هذا الارتقاء الإيماني يسمو بالروح ويجعل نفس المؤمن تنقاد وتخضع للخالق جل وعلا، فلا تجزع من مصيبة ولا تبطر نعمة، فلا مجال للاعتراض، ولا مكان للهمّ طالما أن النفس علمت

---

(1) العقائد الإسلامية، سابق، ج1، ص61.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: أحمد شاكر، ج1، ص69.

(3) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج2، ص930، رقم الحديث 5244، قال الألباني: صحيح.

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم، تحقيق: طه سعد، ج1، ص71.

أن هناك مآلاً للصبر على شدائد الحياة وابتلاءاتها المريرة، فيسلم المؤمن أمره لله سبحانه وتعالى، ويتفرغ لطاعته دون شكوى، لذلك فهم السلف الصالح أن هناك علاقة إيمانية وشيجة بين الإيمان بالقضاء والقدر ومراقبة الله عز وجل، فانعكس هذا الفهم على السلوك والمعتقد، فقد علم النبي ﷺ أمته كيف تتعامل مع هذا الركن الذي لا تستطيع بلوغه عقول البشر، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا).**[1]

ثالثاً – تفاوت المراقبة:

لاشك إن المراقبة تتفاوت تبعاً للمكان والزمان والشخص المكلف بأعباء المسئولية، إذ إن مراقبة الله تعالى – كأعلى مراتب الإيمان – توجه المسلم نحو أفضل السلوك والطاعة والعبادة، وقد اقتصر البحث على أربعة محاور توضح طبيعة التفاوت في المراقبة، وذلك على النحو التالي:

1- **الزواج:** أرشد القرآن الكريم أولياء الأمور إلى أهمية العفاف، فقال تعالى: **[وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]** {النور:32}، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **(يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له** وجاء**)**،[2] هنا تبرز مراقبة الله تعالى بأن يقوم ولي الأمر بتزويج كريمته من صاحب الخلق والدين، وهذا يكون بالتحري والتثبت من شخصية الخاطب، قال الشعبي: "من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها".[3]

2- **الميراث:** حددت الشريعة ضوابط وقيود لتوزيع الميراث وتقسيم التركة، قال تعالى: **[يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]** {النساء:11}، لذا فمن استشعر مراقبة الله تعالى قام بتوزيع

---

(1) السلسلة الصحيحة، الألباني، ج1، ص75، رقم الحديث 34.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب النكاح/ باب الترغيب في النكاح، تحقيق: محمد الناصر، ج7، ص3، ط1، رقم الحديث 5066.

(3) تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، ابن معين، تحقيق: أحمد سيف، ج4، ص399، رقم الرواية 4975.

وتقسيم الميراث على الوجه الذي أراده الله تعالى دون تلاعب، فإن المال أمانة والإنسان مستخلف فيه، ومازالت كثير من دول المسلمين تساوي الرجل بالمرأة في الميراث، متجاهلة رقابة الله تعالى.

3- **الشهادة:** إن المسلم مأمور بأداء الشهادة على وجهها الأكمل دون لبس أو تحريف أو زور، قال تعالى: **[وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ]** {البقرة:283}، وقد حذر النبي ﷺ من شهادة الزور، فعن عبدالرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، فقال: ألا وقول الزور، قال: فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت).**[1] إن المسلم الذي يستشعر عظمة النصوص الثابتة والمتواترة، لا يتوانى عن قول الحق لا تأخذه فيه لومة لائم.

4- **فقه التعامل مع المخطئ:** قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: **[قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]** {يوسف:92}، إن الناظر في هذه الآية يدرك عمق التعامل مع النفس الإنسانية في حال الخطأ، فإن التوبيخ ساعة الخطأ والزلل يحطم النفوس ويدمر القلوب، والمتأمل في السيرة النبوية العطرة، يجد هذا الفهم العظيم في موقف النبي ﷺ يوم فتح مكة عندما قال لأهلها: **(ما ترون أني فاعل بكم؟)** قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: **(فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء)**،[2] وبذلك تتحقق مراقبة الله تعالى في الإعراض عن المخطئ وعدم توبيخ المسيء حتى يصطلح حاله مع الله سبحانه وتعالى، ويعود إلى رشده.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد الناصر، ج3، ص172، رقم الحديث 2674.

(2) الرحيق المختوم، المباركفوري، ج1، ص372.

الفصل الأول

المراقبة: معانيها وسياقها واشتقاقاتها ونظائرها في السياق القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المراقبة ومعانيها ، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: المراقبة لغة.**
- **المطلب الثاني: المراقبة اصطلاحاً.**
- **المطلب الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للمراقبة.**

المبحث الثاني: المراقبة في السياق القرآني بين المكي والمدني، واشتقاقاتها، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: المراقبة في القرآن المكي.**
- **المطلب الثاني: المراقبة في القرآن المدني.**
- **المطلب الثالث: اشتقاقات المراقبة في القرآن الكريم.**

المبحث الثالث: نظائر المراقبة في السياق القرآني، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: النظير الأول: اسم الله (الحفيظ).**
- **المطلب الثاني: النظير الثاني: اسم الله (العليم).**
- **المطلب الثالث: النظير الثالث: اسم الله (السميع).**
- **المطلب الرابع: النظير الرابع: اسم الله (البصير).**
- **المطلب الخامس: النظير الخامس: اسم الله (الخبير).**

المبحث الأول

المراقبــة ومعانيهــا

المطلب الأول

المراقبــة لغـة

أوضح علماء اللغة العربية تحت هذا العنوان تعريفات عدة، منها:

1- قال ابن فارس: "رقب: الراء والقاف والباء أصل واحد مطرّد، يدل على انتصاب لمراعاة شئ، ومن ذلك الرقيب وهو الحافظ".[1]

2- قال ابن منظور: "رقب من أسماء الله تعالى: الرقيب: وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شئ. والترقّب: الانتظار، وقوله تعالى: **[وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي]** طه:94 معناه لم تنتظر قولي، والترقّب: تَنّظّرُ وتوقع شئ".[2]

3- وقال السمين الحلبي: "الرقيب: الحافظ للشئ، وذلك إما لأنه يحفظ رقبته، ومنه في أسماء الله تعالى: الرقيب، وإما لأنه يرفع رقبته ناظراً إليه يراقبه".[3]

4- وقال الزمخشري: "... ورقبه وراقبه: حاذره لأن الخائف يرقب العقاب ويتوقعه، ومنه فلان لا يراقب الله في أموره: لا ينظر إلى عقابه فيركب رأسه في المعصية".[4]

5- وقال الفراهيدي: "رقبتُ الشئ رقبةً ورِقباناً أي انتظرت، والرقيب: الحارس يشرف على رِقبة، يحرس القوم، والرقيب: الحافظ".[5]

الخلاصة:

أن المراقبة هي: من الرقيب الذي لا يغيب عنه شئ في الأرض ولا في السماء، وهذا التعريف يُشعر بمراقبة الله لعباده في جميع أحوالهم، وبذلك ينضبط سلوكهم وفق منهجه سبحانه وتعالى.

---

(1) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ج2، ص 427.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ص1699.

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج2، ص105.

(4) أساس البلاغة، الزمخشري، ص244.

(5) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ج5، ص154.

المطلب الثاني
المراقبــة اصطـلاحاً

أوضح علماء اللغة العربية تحت هذا العنوان تعريفات عدة، منها:

1- قال الجرجاني: "المراقبة استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله".[1]

2- وقال ابن القيم: "المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه".[2]

3- وقال ابن عاشور: "الرقيب على الشئ المراعي لتحقيق الغرض منه".[3]

4- وقال المحاسبي: "المراقبة دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في الحركة والسكون علماً مقترناً بصفاء اليقين".[4]

5- وقال الطبري: "رقيباً: حفيظاً، محصياً عليكم أعمالكم ...يعلمها ويعرفها".[5]

وهذه التعريفات تتوافق مع ما جاء في التعريف اللغوي للمراقبة.

الرأي الراجح:

من خلال التعريفات السابقة يمكن تعريف المراقبة بأنها: **استشعار العبد المسلم مراقبته لله في وقت السر كما يستشعرها وقت العلن،** فإن استشعار المراقبة وقت خلوته هو الأهم لأن العبد لا يراه أحد من البشر فسهلت عليه المعصية، أما وقت العلن فهو وقت الاختلاط بالناس فيمنعه من مقارفة المعاصي.

---

(1) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ص263.

(2) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: رضوان رضوان، ج1، ص482.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج14، ص262.

(4) نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء، ج8، ص3367.

(5) جامع البيان، الطبري في تفسير القرآن، مج3، ص570.

المطلب الثالث

العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للمراقبة

يتضح مما سبق أن هناك ترابطاً محكماً بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي، فالرقيب هو الذي لا يغيب عنه شئ، وهذا في حق الله تعالى، أما المراقَبْ فهو الذي يستشعر أن هناك من ينظر إليه، يشاهد أفعاله ولا يفوته منها شئ، لذا يبقى خائفاً حذراً ومتنبهاً لأعماله كلها، وهذا في حق الإنسان.

"فمن علم أنه في قبضة الله تعالى منذ ميلاده إلى مماته، علم أن نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر، وهذا وحده كافٍ ليعيش في خشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة".[1]

وفي الحديث: ... **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**.[2]

قال ابن بطال: "أراد مبالغة الإخلاص لله بالطاعة والمراقبة له، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، لأنا لو قدّرنا أن مسلماً قام في إحدى العبادات وهو يعاين رب العزة جل جلاله، لم يدع شيئاً مما يقدر عليه من الوقار وحسن السمت والخشوع، واجتماعه بباطنه وظاهره، والاعتناء بإتمامهما على أجمل الوجوه إلا جاء به، وتوجيهه ﷺ أن العبادة في جميع الأحوال في حال العيان، وهذا يكون لعلم العبد باطلاع الحق جل وعلا عليه، فلا يُقدِم العبد على أي تقصير، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يُعمَل بمقتضاه، فإن الثمرة المرجوة هي الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في تتميم الخضوع والخشوع، لهذا ندب أهل العلم لمجالسة الصالحين لكون ذلك أدعى إلى منعه من التلبس بشئ من الدنايا استحياءً واحتراماً لهم، فكيف بمن لايزال الله مطلعاً عليه في علانيته وسره، قال القاضي عياض – رحمه الله: وهذا الحديث يشمل جميع أعمال الجوارح وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن كل علوم الشرع تابعة ومتفرعة منه".[3]

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج6، ص3362.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي ﷺ، تحقيق: محمد الناصر، ج1، ص19، رقم الحديث 50.

(3) يُنظَر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ج1، ص114، (بتصرف).

المبحث الثاني

المراقبة في السياق القرآني بين المكي والمدني ، واشتقاقاتها

المطلب الأول

المراقبة في القرآن المكي

وردت لفظة "رَقِبَ" واشتقاقاتها في القرآن المكي كما هو مبين في الجدول أدناه.[1]

جدول رقم (1): ورود لفظة (رقيب) في القرآن المكي.

م	الآيـة	اللفظة
1	**[إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي]** {طه:94}.	ترقب
2	**[فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّب]** {القصص:18}.	يترقب
3	**[فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ]** {القصص:21}.	يترقب
4	**[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ]** {الدخان:10}.	فارتقب
5	**[فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ]** {الدخان:59}.	فارتقب
6	[**وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**] {هود:93}.	وارتقبوا
7	[**إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ**] {القمر:27}.	فارتقبهم
8	[**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**] {ق:18}.	رقيب

الخلاصة:

- وردت لفظة "رقب" في القرآن المكي بعدة صيغ، وعددها ثمانية مرات.
- ورود اللفظة بعدة اشتقاقات في عدة سور لتربية وإعداد جيل يخشى الله ويعتقد أنه مراقب من قبل الله في حركاته وسكناته.
- تسليط الضوء على أهم القضايا وهي أن الله عز وجل مراقب الانسان في جميع الأقوال والأفعال.
- القرآن المكي ناقش العقيدة والتوحيد، لذلك فإن كفار قريش لما أشركوا بالله لم يكن عندهم أي لون من ألوان الرقابة.
- تميزت الرقابة في القرآن المكي في مدلول ألفاظها غالباً بالتهديد والوعيد.

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص3363، وقد لاحظ الباحث تكرار بعض الآيات في ص323 من المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، وهذا لتنبيه الباحثين.

المطلب الثاني
المراقبة في القرآن المدني

وقد وردت لفظة "رقب" واشتقاقاتها في القرآن المدني كما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول رقم (2): ورود لفظة (رقيب) في القرآن المدني.

م	الآيـة	اللفظة
1	**[كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً]** {التوبة:8}.	يرقبوا
2	**[لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً]** {التوبة:10}.	يرقبون
3	**[فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ]** {المائدة:89}.	الرقيب
4	**[وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً]** {الأحزاب:52}.	رقيبا
5	**[إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً]** {النساء:1}.	رقيبا

الخلاصة:

- وردت لفظة "رقيب" في القرآن المدني خمسة مرات.
- بعد الاعداد في بناء الجيل، جاء القرآن المدني ليستمر في عملية المراقبة.
- لم يترك الاسلام الانسان دون مراقبة، بل يُشعره باستمراريتها، فالقرآن يعالج النفس الانسانية باستمرارية المراقبة حتى لو كان مسلماً كي لا يقع في الزلل.
- في القرآن المدني لما غلب الإيمان تهذبت النفوس، فأصبح لدى المؤمنين رقابة ذاتية تحجبهم عن محارم الله.
- هناك تقارب في عدد الآيات في القرآن المكي والمدني، وهذا يدل دلالة واضحة بعناية القرآن في المرحلتين، فإن طبيعة الانسان قد تضعُف أحياناً فيأتي القرآن المكي للتأسيس، والمدني للبناء.[1]
- القرآن يغرس في القلوب اليقظة للحساب بعد الموت.
- القرآن كتاب الحق المفتوح يغرس في القلوب اليقظة، وأنها تحت الرقابة الإلهية المحكمة.[2]

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص323-324.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، مج6، ص3360.

المطلب الثالث

اشتقاقات المراقبة في القرآن الكريم

جاءت لفظة (رقيب) في القرآن الكريم بالصيغ التالية:

(ترقب، يترقب، فارتقب، وارتقبوا، فارتقبهم، رقيب، يرقبوا، يرقبون، الرقيب، رقيباً).[1]

وقد وردت هذه الصيغ في القرآن الكريم في إحدى عشرة مرة، وهي كالتالي:[2]

1- ترقب، قال تعالى: **[... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي]** {طه:94} ترقب: بمعنى تنتظر.[3]

2- يترقب، قال تعالى: **[فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ]** {القصص:18} بمعنى ينتظر.
وقال تعالى: **[فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ]** {القصص:21} وهي أيضاً في ما يحمل ذات المعنى.[4]

3- فارتقب، قال تعالى: **[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ]** {الدُخان:10} فارتقب بمعنى: فانتظر.[5]

4- وارتقبوا، قال تعالى: **[... وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ]** {هود:93} وارتقبوا بمعنى انتظروا وتفقدوا.[6]

5- فارتقبهم، قال تعالى: **[إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ]** {القمر:27} فارتقبهم بمعنى الانتظار.[7]

6- الرقيب، قال تعالى: **[فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ]** {المائدة:117} الرقيب هو الحافظ.[8]

7- رقيب، قال تعالى: **[وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ**

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ص323-324.

(2) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، مج3، ص233.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ص1699.

(4) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، مج10، ص 46-51.

(5) المصدر السابق، مج11، ص224.

(6) المصدر السابق، مج7، ص106.

(7) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج27، ص200.

(8) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، ص206.

عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] {هود:93} رقيب بمعنى ينتظر[1].

وقال تعالى: **[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]** {ق:18} ومعنى رقب محصي، أي يحصي الأقوال والأعمال، فهو حاضر شاهد، وليس اسم للملك.[2]

8- رقيباً، قال تعالى:**[إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]** {النساء:1}رقيباً بمعنى ناظراً.

وقال تعالى: **[وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا]** {الأحزاب:52} وهو ما يحمل ذات المعنى.[3]

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10، ص153.

(2) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مج4، ص1992.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2، ص131.

المبحث الثالث

نظائر المراقبة في السياق القرآني

المطلب الأول

النظير الأول: اسم الله (الحفيظ)

قال ابن القيم: المراقبة هي التعبد بأسمائه: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها، حصلت له المراقبة.[1]

وقد سلط البحث الضوء على هذه النظائر مع إضافة اسم الله (الخبير) حتى تكتمل الفائدة.

أولاً- الحفيظ لغة:

قال ابن فارس: "حفظ: الحاء والفاء والظاء أصل واحد يدل على مراعاة الشئ.[2] وحفظ الشئ: صانه وحرسه".[3]

وقال ابن منظور: "الحافظ والحفيظ: الموكل بالشئ يحفظه".[4]

وقال الزمخشري: "وهو حفيظ عليه: رقيب".[5]

وقال الدامغاني*: "تفسير الحفظ على ستة أوجه: العلم، والصيانة، والحفظ بعينه، والشفقة، والضمان، والشهادة".[6]

---

(1) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: رضوان رضوان، ج1، ص483.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص275.

(3) المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، ج1، ص185، ط2.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مج2، ص513.

(5) أساس اللغة، الزمخشري، ص133.

* لم أعثر له على ترجمة.

(6) الوجوه والنظائر، الدامغاني، تحقيق: محمد حسن أبو العزم، ج1، ص276.

ثانياً – الحفيظ اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الحفظ: ضبط الصور المدركة".[1]

وقال الكفوي: "الحفظ: الاستئثار".[2]

وقال العسكري: "الحافظ للشئ عالم به في أكثر الأحوال، والحفيظ بمعنى عليم توسع فيه، ألا ترى أنه لا يقال: إن الله حافظ لقولنا وكلامنا على معنى قولنا: فلان يحفظ القرآن، والفرق بين الحفيظ والرقيب: أن الرقيب هو الذي يرقبك لئلا يخفى عليه فعلك، وأنت تقول لصاحبك إذا فتش عن أمورك: أرقيب علي أنت؟ وتقول: راقِب الله، أي: اعلم أنه يراك، فلا يخفى عليه فعلك".[3]

وبناءً على ما تقدم يتضح جلياً أن الله حافظ لأقوالنا وأفعالنا، وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(كان في بني إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلّني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك، أقصر، قال: خلّني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ قال: فقال والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً، قال أحدهما، قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما، واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت على ما في يدي قادراً، اذهبوا به إلى النار، قال: فو الذي نفس أبي القاسم بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته).**[4]

من فوائد الحديث:

- من أعظم الكبائر القول على الله بغير علم.

---

(1) التعريفات، الجرجاني، ص94.

(2) الكليات، الكفوي، ص359.

(3) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص206.

(4) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، ج14، ص46، رقم الحديث 8292، إسناده صحيح.

- الخشية الدائمة من سوء الخاتمة".[1]
- مذهب أهل السنة أن الله تعالى يغفر الذنوب بلا توبة إذا شاء غفرانها، واختاره النووي.[2]
- "حصائد الألسنة تحبط الأعمال.
- من علامات الغرور الرضا عن النفس والأمن من مكر الله، وهذا يؤدي إلى الحكم على النفس بالنجاة، وعلى الآخرين بالهلاك".[3]
- "أنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المتفاخرين، فلعل الله تعالى أسقاه بهذا الذنب دواءً استخرج به داء قاتلاً هو فيك وأنت لا تشعر ولا تعلم".[4]

يتضح مما سبق أن:

- الرجل الصالح هو الذي يتفرغ لإصلاح عيوبه.
- تصيُّد الأخطاء والمعايب والسقطات مذموم في الشرع.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى حكمة في تخيُّر الألفاظ.

ثالثاً –العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

قال الزجاجي[5]: "حفظت الشئ خلاف نسيته، فالله حافظ لعباده يكلؤهم بطول إنعامه، وهو حفيظ لهم ولأفعالهم. والحفاظ والمحافظة: المثابرة على الشئ".[6]

وقال الغزالي: "الحفيظ هو الحافظ جداً، ولن يُفهم ذلك إلا بعد فهم الحفظ، وهو على وجهين:

الأول: إدامة وجود الموجودات، وضده الإعدام، فالله تعالى هو الحافظ للكون بكليته، وبكل

---

(1) دروس وعبر من صحيح القصص النبوي، شحاتة صقر، ص39.

(2) السلسلة الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، الألباني، ج4، ص256.

(3) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، ج178، ص16.

(4) دروس للشيخ محمد المنجد، ج230، ص13.

(5) الزجاجي هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي، داراً ونشأة، كان إماماً في النحو، وصنف كتاب (الجمل الكبرى)، صحب أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج فنسب إليه وعُرف به، توفي في دمشق عام سبع وثلاثين وثلثمائة. يُنظَر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ج3، ص136.

(6) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، تحقيق: عبدالحسين المبارك، ص146.

مخلوقاته التي يطول زمن بقاؤها، والتي يقصر بقاؤها كالحيوانات والنبات وغيرها.

الثاني: وهو أظهر المعنيين، أن الحفظ هو صيانة المتضادات والمتعاديات بعضها عن بعض، والمقصود بالتعادي كالذي ما بين الماء والنار فهما بطباعهما يتعاديان، فإما أن يطفئ الماء النار إن غلبت، أو تحيل النار الماء إن غلبت الماء بخاراً ثم هواءً ... إلى أن يقول: وقد جمع الله عز وجل بين هذه المتضادات في أهاب الإنسان، وبدن الحيوان، وسائر النباتات والمركّبات، ولولا حفظه تعالى لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها ...

وهذا من شأنه تنبيه العبد أن يحفظ جوارحه ودينه عن الغضب، والشهوة، وخداع النفس، وغرور الدنيا، والشيطان، فإنهن مهلكات يفضين بالعبد إلى دار الهلاك".[1]

وقال السعدي: "الحفيظ الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من الوقوع في المهلكات، والحفيظ يتضمن معنيين:

أحدهما: أنه حفظ على عباده أعمالهم من طاعة ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم باطنها وظاهرها، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كرام تكتب ما يفعلون، فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، ونقصها وكمالها، ومقادير الجزاء ثواباً وعقاباً، ثم الجزاء عليها بعدله، أو بفضله.

الثاني: أنه حفيظ لعباده مما يكرهون، وحفظه لخلقه نوعان: عام وخاص:

أما العام: حفظه لجميع الكائنات بتسهيله له ما يحفظها، والمشي إلى مصالحها بإرشاده، فيسّر لكل مخلوق حاجاته الضرورية، ودفع عنه أنواع المكاره، وهذا يشترك فيه البر والفاجر، بل الحيوانات، وهو الذي يحفظ السماوات والأرض أن تزولاً، ويحفظ الخلائق بنعمه، ووكل بالآدمي حفظة من الملائكة يحفظونه ويدفعون عنه كل ما يضره.

والخاص: حفظه الخاص لأوليائه غير ما تقدم بحفظ إيمانهم من الفتن والشبهات، ويحفظهم

---

(1) المقصد الأسنى في شرح معانى أسماء الله الحسنى، الزجاجي، تحقيق: بسام الجابي، ص113.

من أعدائهم، وينصرهم عليهم، ويدفع عنهم الشر والكيد".[1]

وقد استدل العلماء بقول (احفظ) لبيان معنى الحفظ وما يضبط منه.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: **(يا غلام، أو يا غليّم، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بها، فقلت: بلى، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعذ بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشئ لم يكتبه الله لك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)**.[2]

جاء في شرح الحديث:

قال ابن دقيق العيد: "معنى احفظ الله يحفظك، كن مطيعاً لربك مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه".[3] وقال ابن رجب: "احفظ الله، احفظ حدوده وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين الممدوحين في الكتاب العزيز، [**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ**] {ق:32}، وفُسّر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ومن أعظم المحفوظات الصلاة، وذلك في قوله تعالى: [**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**] {البقرة:238}، وقال تعالى: [**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**]

---

(1) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص183–184.

(2) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج5، ص19، رقم الحديث 2803، الحديث صحيح.

(3) شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، ص76.

{المعارج:34}".[1]

من فوائد الحديث:

- بيان مكانة ابن عباس رضي الله عنهما.
- الحديث فيه مجمل، ومفصّل، فالمجمل (كلمات)، والمفصّل ما بعدها.
- واجب على العبد حفظ ربه فيما وصف الله ذاته المقدسة، وفيما نزّه عنه جل جلاله.
- حفظ الله بأداء العبادات وفق شريعته سبحانه وتعالى.
- اجتناب معاصي الله، فمن تعثر بمعصية سارع بغسل درنها بالتوبة.
- معية الله قسمان: عامة لجميع خلقه، وخاصة وهي لمن أحبهم الله تعالى.
- الجزاء من جنس العمل، فمن حَفِظَّ حُفِظَ، ومن ضَيّع ضُيّع.
- الشكر سمة التاجر الحاذق المدقق لحساباته، والمستعد للقاء الآخرة.[2]
- حفظ الله تعالى لعبده على درجتين: حفظ في دنياه، وحفظ في دينه.[3]
- من حفظ الله في حال صحته بالعبادة، حفظه الله من أعظم شدة وهي الموت.[4]

الخلاصة:

يتضح مما سبق مدى ترابط وانسجام التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لتعريف الحفظ، حيث الحفيظ: أشد مبالغة من الحافظ كالعليم والعالم، وللحفيظ معنيان:

أ- ضد السهو والنسيان، فيرجع إلى العلم، فهو تعالى حفيظ للأشياء يعلم جملها وتفاصيلها علماً لا يتبدل بالزوال والسهو والنسيان.

ب- ضد التضييع، وهو حراسة الشئ.[5]

رابعاً- العلاقة بين اسم الله (الرقيب) واسم الله (الحفيظ):

لا شك أن هناك علاقة واضحة بين اسم الله "الرقيب" واسم الله "الحفيظ"، نعم قد يكون لكل

---

(1) جامع العلوم والحكم، زين الدين بن رجب، ج1، ص185.

(2) شرح الأربعين النووية، عطية سالم، ج43، ص14.

(3) شرح الأربعين النووية، صالح آل الشيخ، ج20، ص3.

(4) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص190.

(5) شرح أسماء الله الحسنى، الرازي، ص270.

اسم خصوصية ومعنى يختص به، لكن معاني الأسماء مترادفة متداخلة بقوة، وعلى هذا فالرقيب والحفيظ متقاربان متلاصقان، فالحافظ الذي لا يغيب عنه شئ هو ذاته تعالى الرقيب الذي يرقب الكون لا يفوته شئ منه.

قال الرازي في تفسير اسم الله (الرقيب): "في معنى الاسم "الرقيب وجهان: أحدهما: الرُّقوب دوام النظر على وجه الحفظ، فالرقيب في وصف الناس: الموكل بحفظ الشئ، والثاني: الارتقاب: وهو الانتظار".[1]

وبهذا يتضح أن هناك ارتباطاً لازماً لا ينفك بين الاسمين الكريمين، فالرقيب اسم يحمل بين ثناياه الحفيظ، الذي لا يغفل عن خلقه ولا يفوته من أحوالهم شئ.

قال الغزالي: "الرقيب هو العليم الحفيظ، فمن وعى الشئ دونما غفلة فلاحظه ملاحظة لو عرفه الممنوع عنه لما جرؤ أن يقدم عليه، سُمي رقيباً فكأنه يرجع إلى الحفظ والعلم".[2]

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة ما يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها، وقال رسول الله ﷺ: قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراي).**[3]

فوائد الحديث:

- في قوله: (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة)، المقصود حدث نفسه بذلك.
- قال القاضي عياض: "قال أبو جعفر الطبري: الملائكة يكتبون أعمال القلوب خلافاً لمن قال لا تكتب إلا الظاهر، وحكى النووي ذلك عن أبي جعفر الطحاوي".[4]
- إذا منعته عظمة ربه أن يرتكب السيئة، فتمحى عنه معصية العزم، وتكتب له حسنة، ويعد

---

(1) شرح أسماء الله الحسنى، الرازي، ص279.

(2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، ص118.

(3) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كُتب، وإذا هم بسيئة لم تُكتب، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، ص117، رقم الحديث 129.

(4) طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، ج8، ص229.

ذلك توبة.[1]

- الحديث جامع لأنواع الخير ومقادير السيئات والحسنات، بين فيه ﷺ ما تفضل به ربنا تبارك وتعالى من إنعامه على عبيده.[2]

ما يستنبط من الحديث:

- (ارقبوه) تبعث في النفوس الرهبة والخشية من الاقتراب من المعاصي.
- الإعراض عن الذنوب لا يُكتب حسنات إلا إذا كان خشية من الله تعالى.

(1) فيض الباري على صحيح البخاري، الكشيري، تحقيق: محمد الميرتهي، ج4، ص26.

(2) الفتح المبين بشرح الأربعين، ابن حجر، ص593.

المطلب الثاني

النظير الثاني: اسم الله (العليم)

وردت لفظة "علم" بعدة صيغ في القرآن الكريم ، هي:

(علم ، علمتُ ، عَلِمتُم ، علموهن ، عَلِمْتَه ، علمنا ، علمه ، علموا ، أعلم ، تعلم ، لتعلمن ، تَعْلَمُون ، ستعلمن ، تعلمونهن ، تعلموهم ، نعلم ، نعلمهم ، يعلم ، سيعلم ، ليعلمَنَّ ، يُعَلَّمنَه ، يَعلَمُها ، يعلَمُهُم ، يعلموا ، يعملون ، سيعملون ، اعلَم ، اعلَموا ، ليُعلَم ، علّمتُكَ ، علَمن ، علَمه ، تعلَمُن ، تعلَمون ، تعلموهن ، ولنعلّمه ، يعلّمان ، يعلّمُكَ ، يعلّمكم ، يعلّمه ، يعلّمهم ، يعلمون ، عُلّمت ، عُلّمتُم ، عُلّمنا ، يتعلمون ، عالم ، العالمون ، عالمين ، علماء ، معلوم ، معلومات ، مُعلّم ، أعلّمُ ، عليم ، عليما ، علّام ، العِلْم ، علما ، عِلْمِه ، عِلْمُهم ، عِلْمي ، الأعلام ، العالمين ، علامات).

أولاً – العلم لغة:

جاء في المعجم الوسيط: "علم الشئ علماً: عرفه".[1]

وقال الزمخشري: "ما علمت بخبرك، ما شعرت به".[2]

وقال ابن فارس: "العين واللام والميم أصل واحد يدل على أثر بالشئ ويتميز به عن غيره[3]

ثانياً – العلم اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع".[4]

وقال الكفوي: "العلم: معرفة الشئ على ما هو".[5]

وجاء في الموسوعة الفقهية: "هو حصول صورة الشئ في العقل".[6]

وقال القحطاني: "العليم هو الذي أحاط علمه بكل شئ، بالممتنعات، والممكنات، والواجبات،

---

(1) المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، ج2، ص623.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، ص434.

(3) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، ص689

(4) التعريفات، الجرجاني، ص157.

(5) الكليات، الكفوي، ص610.

(6) الموسوعة الفقهية، ج30، ص290.

فيعلم سبحانه ذاته العلية، ونعوته العظيمة، وصفاته المقدسة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها.

أما الممتنعات فكقوله تعالى:[**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**] {الأنبياء:22}، فهذه وأشباهها من الممتنعات التي أحاط علمه بها، وإخباره بما يترتب عليها لو وجدت.

وأما الممكنات فهي التي يجوز عدمها ووجودها، ما لم يوجد مما لم تقتضي حكمته سبحانه إيجاده، فهو تعالى العليم بالعالم السفلي والعلوي، فلا يخلو علمه زمان ولا مكان، ويعلم الغيب والشهادة، والخفي والجلي، والبواطن والظواهر".[1]

وقال البيهقي: "قال الحليمي: العليم هو المدرك لما يدركه المخلوقون بحواسهم وعقولهم، وما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يكون موصوفاً بحس أو عقل، وهذا يعود إلى أنه لا يعزب عنه شئ، ولا يعجزه إدراك شئ، كما يعجز عن ذلك من لا حس له ولا عقل من المخلوقين، وفي معنى قوله تعالى: [**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**] {طه:7}، قال ابن عباس رض الله عنهما: قال: يعلم السر، ما أسر ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي على ابن آدم ما هو فاعله قبل أن يعلمه".[2]

الرأي الراجح:

مما تقدم يتبين أن معنى العلم هو المعرفة، وهو نقيض الجهل.

وقد حفل القرآن الكريم بمواضع كثيرة تحدثت عن (العلم)، واقتصر البحث على ما يلي:

1- [**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**] {البقرة:33}يعني: أعلم السر كما أعلم العلانية.[3]

2- [**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**] {غافر:19}.

3- [**أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ**] {العنكبوت:10}.

ثالثاً –العلاقة بين اسم الله (الرقيب) واسم الله (العليم):

يتضح مما سبق أن هناك علاقة وثيقة مترابطة بين الاسمين الكريمين "العليم" و"الرقيب"، فالعليم الذي أحاط علمه بالسرائر والظواهر في العالم العلوي والعالم السفلي، في الماضي والحاضر

---

(1) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص89–90.

(2) الأسماء والصفات، البيهقي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ج1، ص82.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص99.

والمستقبل، وهو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، هو ذاته الرقيب الذي لا يفوته شئ، "وكثيراً ما يأتي اسم الله العليم في سياق الأعمال وجزائها ليوقظ القلوب وينبه العباد على أهمية إكمالها وإصلاحها، وليرغبهم ويرهبهم".[1]

"والعليم صفته العلم، فلا يجوز قياساً عليه أن نقول: عارف لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي يتوصل بها إلى العلم، فأسماء الله توقيفية فلا يجوز أن نشتق من الصفة أو الفعل اسم لله عز وجل".[2]

"العليم متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبقه جهل، ولا يتبعه نسيان، فهو العلم الواسع بكل شئ، عملاً وتفصيلاً، سواءً أفعاله أو أفعال المخلوقين".[3]

وأما الرقيب فهو "المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس مما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام، وأكمل تدبيرها، فهو تعالى رقيب على جميع المخلوقات لعلمه المحيط بكل شئ".[4]

---

(1) فقه الأسماء الحسنى، عبدالرازق البدر، ص161-164.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص11.

(3) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، محمود الرضواني، ج6.

(4) فقه الأسماء الحسنى، عبدالرازق البدر، ص187.

المطلب الثالث

النظير الثالث: اسم الله (السميع)

أولاً – السميع لغة:

قال ابن فارس: "سمع: السين والميم والعين أصل واحد، وهو ما يناسب الشئ بالأذن من الناس وكل ذي أذن".[1]

وقال الزمخشري: "سمع: سمعتُه وسمعتُ به، واستمعوه وتسامعوا به واستمع إلى حديثه، وألقى إليه سمعه، وسمّع به نوّه به".[2]

قال الرازي: "السمع: سمع الإنسان يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى: [**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**] {البقرة:7}، لأنه في الأصل مصدر قولك (سمِع) الشئ بالكسر (سمعاً) و(سماعاً)، وقد يُجمع على (أسماع) وجمع الأسماع (أسامع) وفعله رياء و(سُمعة) أي ليراه الناس وليسمعوا به، (استمع) له أي أصغى".[3]

وجاء في الوجيز: "سمع لفلان: أصغى وأنصت".[4]

ثانياً – السميع اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "السمع: هو قوة مودعة في العصب المغروس في مقعّر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ".[5]

وقال الكفوي*: "السماع: كل ما يستلذه الإنسان من صوت طيب فهو سماع".[6]

يُلاحظ من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي التقارب الواضح بينهما، فهو بمعنى

---

(1) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، ص491.

(2) أساس البلاغة. الزمخشري، ص308.

(3) مختار الصحاح، الرازي، ص167.

(4) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص321.

(5) معجم التعريفات، الجرجاني، ص104.

* لم أعثر له على ترجمة.

(6) الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البهاء الكنبري، ص95.

الاصغاء والإنصات.

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن السميع ذاته مراقب لجميع أفعال خلقه ومطلع عليها، مع الإشارة إلى أن الله تعالى منزه عن أي تشبيه أو تجسيد خاص بسائر المخلوقات، وقد اقتصر البحث على جملة من الآيات بما يتفق مع هذا السياق، وهي ما يلي:

1- **[أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ]** {الزُّخرف:80}.

2- **[وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ]** {فصّلت:22}.

3- **[مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]** {العنكبوت:5}.

ثالثاً – العلاقة بين اسم الله (الرقيب) واسم الله (السميع):

السميع: هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات وتفنن الحاجات، قد استوى في سمعه سر القول وجهره.[1]

مما تقدم يتضح أن هناك ترابطاً وثيقاً محكماً بين الاسمين العظيمين.

فالسميع الذي وسع سمعه الأصوات، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا يخلطه تنوع المسائل، ولا يبرم كثرة السائلين،[2]هو ذاته رقيب للمسموعات بسمعه الذي وسع كل شئ.

قال الغزالي: "السميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع، وإن خفي وما هو أدق، فيسمع سبحانه دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وسمعه تعالى بغير أصمخة وآذان ولا جارحة، وسمعه – جل شأنه – منزه عن أن يتطرق إليه الحدثان،[3] والسمع في حقه صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات".[4]

وفي تفسير سورة المجادلة قال الشوكاني في سبب النزول: "نزلت في خولة بنت ثعلبة،

---

(1) فقه الأسماء الحسنى، عبدالرازق البدر، ص151.

(2) نفسه، ص151-187.

(3) الحدثان بمعنى: نوائب الدهر أو الليل والنهار، يُنظَر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر وآخرون، ج1، ص454.

(4) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، ص95.

وزوجها أوس بن الصامت، وكان به لمم،[1] وذات يوم اشتد عليه اللمم فظاهر من زوجته (أي قال لها: أنت علي كظهر أمي)، فلما قدمت خولة على رسول الله ﷺ جعلت تقول: إن لي أطفالاً صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، والرسول ﷺيرد عليها بقوله: قد حرمت عليه، فجعلت ترنو ببصرها صوب السماء، وتقول: والله ما ذكر طلاقاً، اللهم إني أشكو إليك وحدتي وفقري، وجعلت تراجع رسول الله، ويرد عليها: قد حرمت عليه، وأثناء هذه المجادلة نزل جبريل – عليه السلام – بالآيات.[2]

قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: [**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**] {المجادلة:1}.[3]

---

(1) اللمم مس من الجنون، واللمم الإلمام بالذنب الفينة بعد الفينة، يُنظَر: كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج8، ص322.

(2) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، ج5، ص181.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج23، ص226.

المطلب الرابع

النظير الرابع: اسم الله (البصير)

أولاً – البصير لغة:

قال الزمخشري: "بصرَ أبصر بالشئ وبصر به، وقد بصُر بعمله إذا صار عالماً به وهو بصير به وذو بصر وبصارة".[1]

وقال ابن فارس: "بصر: الباء والصاد والراء أصلان، أحدهما العلم بالشئ، يقال هو بصير به، والبصيرة: البرهان ...".[2]

وقال الرازي: "البصر حاسة الرؤية، وأبصره: رآه، والبصير: ضد الضرير، وبصُر به: أي عَلِمَ، والتبصر: التأمل والتعرف، والتبصير: التعريف الإيضاح، والمبصرة، المضيئة، والبصيرة: الحجة".[3]

ثانياً – البصير اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "البصر هي القوة المودعة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فيتأديان إلى العين، تدرك بها الأضواء والألوان والأشكال".[4]

وقال الكفوي: "البصر هو إدراك العين، وقد يطلق مجازاً على القوة الباصرة، وكذا في السمع والبصر: قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العين، من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجامدية من أشباح صور الأجسام بتوسط، والبصيرة: هي قوة في القلب تدرك بها المعقولات".[5]

قال الأشقر: "البصير هو الذي يرى حتى لا يغيب عنه ما تحت الجبال والثرى، وإبصاره منزه عن كونه بأجفان وحدقة، فالبصير في حقه سبحانه صفة يتكشف بها تمام صفات المبصرات،

---

(1) أساس البلاغة، الزمخشري، ص40.

(2) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، ص137.

(3) مختار الصحاح، الرازي، ص35– 36.

(4) معجم التعريفات، الجرجاني، ص42.

(5) الكليات، الكفوي، ص247.

وهذا أوضح من فهم وإدراك البصر القاصر على ظاهر المرئيات".[1]

وقال السعدي: "البصير هو الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أنحاء الأرض والسماوات، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الجفون، وحركات الجنان".[2]

ويتضح مما سبق أن هذا التعريف الاصطلاحي يتوافق ويتلاقى مع المعاني الواردة في التعريف اللغوي.

الخلاصة:

لا شك أن الله تعالى هو البصير بخلقه كلهم صغيرهم وكبيرهم، في ظلام الليل ورابعة النهار، وهو لا شك يراقبهم فلا تخفى عليه خافية من أحد منهم.

وقد اقتصر البحث على جملة من الآيات الكريمة بما يتناسب مع موضوع البحث، وهي كما يلي:

1- **[وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {البقرة:233}.
2- **[وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ]** {غافر:44}.
3- **[فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]** {الحج:46}.[3]

ثالثاً – العلاقة بين اسم الله (البصير) واسم الله (الرقيب):

يتبين مما سبق أن هناك ارتباطاً محكماً بين الاسمين الجليلين، فبصر الله عز وجل نافذ في جميع مخلوقاته، لا يغيب عنه شئ منهم، ولا يحجبه سبحانه عن خلقه شئ، فالله جل شأنه يرى كبير خلقه وصغيرهم في ظلمة الليل ووضح النهار، المختفي في باطن الأرض والظاهر فوقها، وأما الرقيب فهو الذي يحصي على عباده أعمالهم وأقوالهم وأنفاسهم، لا يخفى عنه مثقال ذرة من أعمالهم، سواء عُملت في باطن الأرض، أو في أجواء الفضاء، في ظلمة الليل أو في وضح النهار.

---

(1) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي: تحقيق: بسام الجابي، ص91.

(2) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص24.

(3) المعجم المفهرس، عبدالباقي، ص121–122.

المطلب الخامس

النظير الخامس: اسم الله (الخبير)

أولاً – الخبير لغة:

قال ابن فارس: (خَبِرَ) الخاء والباء والراء أصلان: فالأول: العلم بالشئ، تقول: لي بفلان خِبرة وخُبر، والله تعالى الخبير، أي العالم بكل شئ، قال تعالى: [**... وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**] {فاطر:14}.[1]

وقال ابن منظور: الخبير من أسماء الله – عز وجل – هو العالم بما كان وما يكون. وخَبُرت بالأمر أي علمته.[2]

وقال الرازي: الخبير: العالم.[3]

ثانياً – الخبير اصطلاحاً:

قال الكفوي: الخبر لغة بمعنى العلم، والخبير في أسماء الله تعالى بمعنى العليم.[4]

وقال الجرجاني: الخبرة هي المعرفة ببواطن الأمور.[5]

وقال ابن عاشور: الخبير أي العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية.[6]

العلاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي:

يتبين مما سبق أن هناك توافقاً وترابطاً محكماً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لاسم الله (الخبير).

الرأي الراجح:

برى الباحث أن تعريف الجرجاني هو الرأي الراجح، لأن النفس تميل إليه، حيث النصوص

---

(1) مقاييس اللغة، ج2، ص239.

(2) لسان العرب، ج4، ص226.

(3) مختار الصحاح، ج1، ص87.

(4) الكليات، ج1، ص415.

(5) التعريفات، ج1، ص131.

(6) التحرير والتنوير، ج22، ص310.

القطعية من الكتاب والسنة تثبت هذا المعنى العظيم.

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تتحدث عن اسم الله (الخبير)، وقد اقتصر البحث على جملة من الآيات على النحو التالي:

1- **[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ]** {الأنعام:73} .

2- **[لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ]** {الأنعام:103} .

3- **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ]** {الحشر:18} .

4- **[أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ]** {الملك:14} .

5- **[إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ]** {العاديات:11} .

6- **[الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآَخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ]** {سبأ:1} .

جاء في تفسير قوله تعالى: **[لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ]** {الأنعام:103} : يقول الطبري: أي لا تحيط به تعالى الأبصار، وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.[1]

من روائع البلاغة في الآية:

يقول درويش: انطوت الآية على فنون عدة من البلاغة، منها:

1- **المناسبة:** وهي أن يبدأ المتكلم بمعنى، ثم يتم كلامه بما يلائمه معنىً دون لفظ، وإن معنى نفي إدراك الأبصار للشئ يلائمه اللطف، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل، فالمعهود عند المخاطَب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة كالهواء وغيره، واللون إنما يُدرك من كل متلون، كما أن الكون من كل متكون، فجاء التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد، فقوله تعالى: **(يدرك الأبصار)** يناسب وصف المدرك بالخبرة.

2- **فن الاحتراس:** لما أثبت الحق سبحانه له إدراك الأبصار، اقتضت البلاغة فن الاحتراس

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، ج12، ص13.

تحرزاً لأن يظن ظان أنه إذا لم يكن مدركاً لمن يكون موجوداً فلزم أن تقول **(وهو يدرك الأبصار)** لتثبت لذاته تعالى الوجود.

3- **فن اللف والنشر:** هو فن بلاغي سماه البعض فن تشابه الأطراف، فقوله تعالى **(اللطيف)** راجع لقوله تعالى **(لا تدركه الأبصار)**، وقوله تعالى **(الخبير)** راجع لقوله تعالى **(وهو يدرك الأبصار)**.

4- **فن التعطف:** ويظهر في قوله تعالى: **(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)**، وذلك لمجئ الأبصار أول الكلام وخاتمته.

5- **فن المطابقة:** وهو ما يبرز بين قوله تعالى **(لا تدركه الأبصار)**، وقوله تعالى **(وهو يدرك الأبصار)**.[1]

ثالثاً – العلاقة بين اسم الله الخبير واسم الله الرقيب:

يتضح مما سبق أن هناك علاقة محكمة بين الاسمين الجليلين، فكلاهما أسماء متعلقة بعلمه جل شأنه، فإن الخبير سبحانه وتعالى العالم ببواطن المخلوقات إنسها وجنها في ظاهرها وباطنها ما علمنا منها وما لم نعلم، هو ذاته الرقيب على أفعال العباد وأقوالهم ومعتقداتهم، لذلك من أدرك هذا الفهم العميق بين الاسمين الكريمين ينبغي أن يتعبد الله تعالى بنور المراقبة.

(1) إعراب القرآن وبيانه، ج3، ص188-189.

الفصل الثاني
المراقبة: حقيقتها وأنواعها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المراقبة في العبادات والمعاملات.
- المطلب الثاني: المراقبة بين الحقوق والواجبات.
- المطلب الثالث: المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى.

المبحث الثاني: أنواع المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مراقبة الله تعالى للعبد.
- المطلب الثاني: مراقبة العبد لنفسه.
- المطلب الثالث: مراقبة العبد للعبد.

المبحث الأول
حقيقــة المراقبــة

المطلب الأول
المراقبة في العبادات والمعاملات

إن التربية على أساس العبادة تزود المؤمن دوماً بشحنات إيمانية متتابعة، كما تمده بالثقة في النفس المستمدة من الثقة بالله تعالى.[1]

والأصل في العبادات اليومية أن تنعكس طهارتها ونقاؤها على حياة المسلم خارج إطار العبادة، فقلب المسلم الخاشع في الصلاة يجمل به أن يُظهر حلاوةً في السلوك خارجها، فالمسلم سلوك وعبادة، أخلاق وصلة بالله، فينبغي على المسلمين إذا أرادوا حقيقةً الارتقاء بإيمانهم، التحلي بأجمل الأخلاق، بالتوازي والتساوي مع أجمل العبادات، ليصلوا لأعلى الدرجات في الجنات.

من هذا المنطلق ينبغي التعرف على مفهوم كل من: العبادات، والمعاملات على الوجه التالي:

العبادة لغة واصطلاحاً:

أ- العبادة لغة:

- قال الراغب: "العبودية هي إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، فهي غاية التذلل".[2]
- وقال ابن فارس: "العبد خلاف الحر، وأصله الذل والخضوع".[3]

الرأي الراجح: معنى العبادة في اللغة التذلل والخضوع.

ب-العبادة اصطلاحاً:

- قال ابن تيمية: |"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة".[4]
- وقال ابن القيم: "حقيقة العبودية هي كمال المحبة".[5]

الرأي الراجح: العبادة هي كل قول أو فعل أو تقرير يحبه الله ويرضاه، يُبتغى من ورائه

---

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت، عبدالرحمن النحلاوي، ص53.

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص 542.

(3) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق، زهير سلطان، ج1، ص643.

(4) العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد الشاويش، ج1، ص44.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمد الفقي، ج1، ص92.

مرضاة الله تعالى.

المعاملة لغة واصطلاحاً:

أ- المعاملة لغة:

- قال ابن فارس: "العين والميم واللام، أصل واحد صحيح عامة في كل فعل يُفعل، والمعاملة مصدر من عمل".[1]
- وقال الفراهيدي: "المعاملة مصدر عاملته معاملة".[2]

ب-المعاملة اصطلاحاً:

- قال التهانوي: "المعاملات أحكام الشرع المتعلقة بأمر الدنيا".[3]
- قال الدكتور عبدالله الزبير عبدالرحمن: "المعاملة هي كل ما يقع بين الناس من العلاقات والتصرفات وتبادل المنافع".[4]
- وقال محمد شبير: "المعاملة هي الأحكام الشرعية المنظِمة لتعامل الناس في الأموال".[5]

الرأي الراجح: المعاملة هي كل سلوك يصدر من الإنسان يحسن أو يسئ فيه للناس.

ويندرج تحت المعاملة الأخلاق.

الأخلاق لغة واصطلاحاً:

أ- الأخلاق لغة:

قال الراغب: "الخلق هي القوى والسجايا المدركة بالبصيرة".[6]

قال ابن فارس: "الخلق السجيّة".[7]

ب-الأخلاق اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الخلق: هيئة راسخة في النفس تنبع منها الأعمال بسهولة بلا فكر وتأن،

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون. ج4، ص145.

(2) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: المخزومي، السامرائي، ج2، ص154.

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ج2، ص1573.

(4) موقع أ.د. عبدالله الزبير عبدالرحمن على الرابط: www.azubair.net.

(5) المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، شبير، ص10.

(6) مفردات غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داوودي، ج1، ص297.

(7) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج2، ص214.

فإن كانت الهيئة جميلة سُميت خلقاً حسناً، وإن كانت الهيئة قبيحة، سُميت خلقاً سيئاً، وكل ذلك بحسب الأفعال الصادرة".[1]

وقال الكفوي: "الخلق: الطبع والدين والمروءة".[2]

الرأي الراجح: الأخلاق هي مجموع السلوك الصادر عن الإنسان حسناً كان أم سيئاً.

ولقد حثت آيات كثيرة من القرآن الكريم على التحلي بمعالي الأخلاق، منها:

- **[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ]** {القلم:4}.
- **[وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ]** {الشُورى:43}.
- **[وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ]** {الشُورى:37}.

ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عن خلق النبي ﷺ قالت: كان خلقه القرآن.[3]

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **(أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً).**[4]

لذا ينبغي أن يُفهم من مجموع الآيات والأحاديث أهمية حسن التعامل مع الناس، وقد أشارت كثير من الآيات إلى أهمية المعاملة الحسنة، منها:

- **[وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** {البقرة:280}.
- **[أَوْفُوا الكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ]** {الشعراء:181}.
- **[وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ]** {الشعراء:182}.
- **[وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ]** {الشعراء:183}.
- **[وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا]** {الإسراء:26}.

حقيقة المراقبة ودرجاتها:

أولاً – حقيقة المراقبة:

قال الغزالي: "إن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، والمقصود بهذه

---

(1) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، ص136.

(2) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ج1، ص429.

(3) صحيح الأدب المفرد، البخاري، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، تحقيق: الألباني، ج1، ص129، رقم الحديث 234/308.

(4) صحيح الجامع الصغير، الألباني، ج1، ص259، رقم الحديث 3741.

المراقبة هو حالة للقلب يثمرها لون من المعرفة، وهذه الحالة تثمر أعمالاً في القلب والجوارح".[1]

وثمرة المعرفة أن الله تعالى عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، وسر القلب في حقه تعالى مكشوف، كما أن ظاهر البشرة مكشوف للعباد.

إذا صارت هذه المعرفة يقيناً يخلو من الشك، فإنها تقهر القلب وتستولي عليه.

ثانياً – درجات المراقبة:

وتنقسم إلى قسمين: الصديقون، وأصحاب اليمين.

- الصديقون: إن طبيعة المراقبة لديهم هي مراقبة الإجلال، فيصبح القلب منكسراً تحت هيبة ذي الجلال، فلا يكون فيه متسعٌ لغيره.
- أصحاب اليمين: وهم قوم غلب على باطنهم وظاهرهم اطلاع الحق، فقلوبهم فيها متسع لحد الاعتدال، فهم في أعمالهم يراقبون الله تعالى، نعم غلب الحياء من الله عليه، ويعلمون أن الله تعالى مطلع في الدنيا عليهم، فلا حاجة لهم إلى انتظار قيام الساعة.[2]

وقد افتتح البخاري كتابه الصحيح بالحديث: **(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)**[3]، وعلق ابن عثيمين فقال: "هذا الحديث هو ميزان للأعمال الباطنة، أعمال القلوب، وأما قوله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**"،[4] فهذا الحديث هو ميزان للأعمال الظاهرة، وبهذا يتم الدين كله.[5]

ثالثاً – لفظة (رقيب) في القرآن الكريم:

وردت لفظة (رقيباً) ثلاث مرات[6] في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**

---

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4، ص399، (بتصرف وإيجاز).

(2) المرجع السابق، ج4، ص400 (بتصرف وإيجاز).

(3) صحيح البخاري، البخاري، باب كيف كان بدء الوحي، تحقيق: محمد الناصر: ج1، ص6، رقم الحديث1.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأقضية/ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج3، ص1343، رقم الحديث 1718.

(5) القواعد والأصول، ابن عثيمين، ج1، ص8.

(6) ص 20 من البحث، يُنظَر: فقه الأسماء الحسنى، البدر، ص187.

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] {النساء:1}.

المعنى الإجمالي: يقول الطبري: "يحذر الله تعالى خلقه من مخالفة أمره، وعرّف عباده أنه ابتدأ إنشائهم من نفس واحدة، فحقهم على بعض واجب لاجتماعهم في النسب، مذكراً تعالى جميع الخلق أنه لم يزل حفيظاً على أعمالهم".[1]

رابعاً – تحليل وأثر لفظة (رقيباً) على المعنى:

قال السمين الحلبي: "إن قوله تعالى:**[إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]** {النساء:1} جاري مجرى التعليل".

فالرقيب: يعني صيغة مبالغة من رَقَبَ يَرْقُبْ رَقْبَاً ورِقْبَاناً، إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه، واستعماله في صفات الله تعالى بمعنى: الحفيظ،[2] والنكرة تفيد التعظيم[3] "إذا تدبر العبد في هذه الآية وأمثالها، استفاد منزلة المراقبة وهي منزلة عظيمة، وثمرتها الشهادة التي توجب التعظيم".[4]

يتبين مما سبق أنه عندما يعتقد المسلم أن هناك من يراقبه، فإنه يتقن العمل في جميع مراحله، في أقواله وأفعاله، وعليه وحتى تتحقق مراقبة الله تعالى (الخصوصية في حياة جزء من المسلمين الذين انقادوا قولاً وفعلاً لله سبحانه وتعالى)، ولهذا يجمل بهؤلاء تحقيق ما يلي:

أ. **الشهادتان:** التوحيد رافد عظيم من روافد المراقبة الذاتية، إذ يستشعر الموحد مراقبته لله تعالى على مدار حياته كلها، وإلى ما بعد مماته، والمتأمل في حديث الرجل الذي أوصى بحرقه بعد الموت، يرى ذلك بعين البصيرة.

فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: **(أن رجلاً كان قبلكم رغسه[5] الله مالاً فقال لبنيه لما حُضِر، أي أب كنت لكم قالوا خير أب، قال فإني لم أعمل خيراً قط، فإذا مُتُّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل فقال: ما**

---

(1) جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، الطبري، ج3، ص222–228.

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد حمد الخراط، السمين الحلبي، ج3، ص556.

(3) نشر البنود على مراقي السعود، عبدالله الشنقيطي، ج1، ص187.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: عبدالله الخالدي، ج1، ص176.

(5) رغسه: أي أعطاه وبارك له فيه، من الرغس: وهو النماء والخير والبركة. يُنظَر: فتح الباري، ابن حجر، كتاب الجمعة / باب ما ذكر عن بني إسرائيل، تحقيق: ابن حجر، ج1، ص124.

عملك؟ قال مخافتك، فتلقاه برحمته).[1]

ب. **الطهارة:** لما كانت الطهارة والوضوء شرطاً أساساً، وجب على المسلم الاهتمام بالطهارة من النجاسة ونحوها، والاهتمام بالوضوء وإسباغه.

وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ على قبرين فقال: **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**، ثم قال: **بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله**، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره لاثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: **لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا.**[2]

وعندما تتقرر في النفس وحدانية الاعتقاد، والعبادة، يقوم عليها منهج كامل في السلوك، ومن ثم تستيقظ في هذه النفس مراقبة الله جهرة وخفية، ويعمل المسلم بشعور المراقَب من الله تعالى، فلا يعيش وحده ولو كان في خلوة، وعليها يتكيف سلوكه بهذا الشعور الذي لا يغفل بعده قلب ولا ينام.[3]

ج. **الصلاة:** هي الحصن المنيع للمسلم، وهي المنهج الأقوم في تقويم المجتمع وتطهيره من الدنايا، ومن يراقب الله في صلاته، فإنه يغرس فضيلة المراقبة في ذاته، قال تعالى: **[إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ]** {العنكبوت:45}.[4]

"... والناس متفاوتون في خشوعهم في الصلاة، فقد يكون الرجلان في الصف لكن ما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض".[5]

مما سبق يتضح أن درجة الخشوع في الصلاة تكون تبعاً لمراقبة الله تعالى خارج الصلاة.

د. **الصيام:** ومن أعظم مقاصده: "الانزجار عن خواطر المعاصي والمخالفات"[6]، "وإن أهل

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ج4، ص176، رقم الحديث 3478.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب من انتظر حتى تدفن، تحقيق: محمد الناصر، ج8، ص17، رقم الحديث 6052.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، تحقيق: علي الشحود، ج9، ص353.

(4) معالم الصلاة، عبدالله عمار، ص87.

(5) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج1، ص526.

(6) مقاصد الصوم، العز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد الطباع، ص17.

المراقبة قوم فهموا أن مقصود الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان".[1]

وعلى هذا يتبين: "أن الصوم ينمي في الإنسان منزلة المراقبة التي هي جهاز دقيق ساهر دونه كل أجهزة المتابعة والملاحظة".[2]

"وأن المسلم الذي يمسك عن المفطرات في وقت محدد، ويستبيحها في وقت آخر محدد، وهو بين هذين الوقتين يكبح جماح نفسه عن ما أحل الله، يرتقي بصيامه ليصل إلى درجة أن الله تعالى رقيب على أعماله مطلع عليها، والصيام يزكي خلق العبد، والاحتمال، والإحساس بالفقير والعطف عليه، وينمي في الوقت نفسه مراقبة الله في السر كمراقبته في العلانية".[3]

هـ. **الحج:** "إن الطواف بالبيت العتيق سبعاً، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً، وكذلك الوقوف بعرفة في وقت محدد، وكذا باقي مناسك الحج، يؤديها الحاج في وقتها كاملة، كما لا يأتي محظوراً من محظورات الإحرام، عالماً عامداً، وإذا شك الحاج في أمر ما، سأل العلماء ... لماذا؟ لرغبة الحاج في قبول حجه، وهذا بالتالي يقوده إلى أن الله تعالى رقيب على أعماله مطلع عليها، ومن الفوائد أن ركن الحج يخاطب في المسلم خبيئة قلبه، تستثير مراقبة لله، فلا يفرط في هدي أو كفارة، وإلا وقع في رفث أو جدال أو فسوق أثناء تأديته المناسك، وإن هذه الرقابة الذاتية التي يلتزم بها قاصد البيت الحرام أياماً معدودات، يمكن أن تتحول إلى منهاج حياة قويم، وسلوك مستديم يرجع به الحاج الذي وفقه الله إلى وطنه وكأنما استيقظ من سبات، أو تنبه من رقاد.[4]

"وإن الله تعالى هو الذي أوجد الأعوام والشهور والأيام، وكلها مقادير الآجال والأعمال، وهو الذي خص شهور الحج بالفضائل، وهو تعالى دائم لا يزول، مراقب لأعمال عباده في جميع الأوقات، وإن ما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات، إلا وله فيها عبادة من

---

(1) أسرار الصوم، الغزالي، تحقيق: ماهر المنجد، ص50.

(2) أثر الصيام في تربية الإنسان، فاطمة شوكت العليان، ص31.

(3) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، ومحمد الزيبق، ص221.

(4) مجلة البيان، أحمد عبدالرحمن القاضي، ع231، ص3، (بتصرف وإيجاز).

العبادات، فالمؤمن يتقلب بين هذه العبادات، وهو راجٍ خائف يتقرب إلى مولاه".[1]

ويُستفاد مما سبق أن فلسفة الحج هي:

- القيام بالأركان والسنن ...إلخ.
- الالتزام بما فعل النبي ﷺ، وهذا يحقق لنا القدوة في الحج.
- البذل المادي أو التكلفة، وهذا الجهد والمشقة والإخلاص من فوائد الحج.
- قول الحسن: أن يعود راغباً في الآخرة، زاهداً في الدنيا.[2]

و. **الزكاة:** إن رقابة الله عز وجل على عباده واقعة في جميع الأقوال والأفعال، والزكاة كركن من أركان الإسلام، هي سر من الأسرار بين العبد وربه جل وعلا، لذلك من أعرض عن أداء الزكاة سلط الله عز وجل عليه ماله في قبره، فيتحول شجاعاً أقرع يطوقه.[3]، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزميته**– يعني بشدقيه – **يقول: أنا مالك أنا كنزك)**، ثم تلا هذه الآية: **[وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ...]** {آل عمران:180}.[4]

والشجاع الأقرع: الحية الذكر، والأقرع: الذي انحسر الشعر عن رأسه من كثرة سمه.

والزبيبتان: هما النكتتان السوداوان فوق العينين، وهو أخبث وأوحش الحيات.

وقوله: مُثِّل له: أي صور له ماله شجاعاً، وهي الحية التي تقوم على ذنبها.[5]

وقوله: أنا كنزك: زيادة للهم والغصة لأنه أتاه شر من حيث كان يرجو خير، وفيه نوع من التهكم، والكنز لغة: المال المدفون، والمراد هنا كنز ذمة الله تعالى.[6] فالزكاة هي تطهير

---

(1) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، ص223.

(2) التاريخ الكبير، البخاري، ج3، ص238.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج7، ص437.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب إثم مانع الزكاة، تحقيق: محمد زهير الناصر، ج2، ص106، رقم الحديث 1403.

(5) شرح السنة النبوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج5، ص479.

(6) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، ج7، ص1325.

للنفس من شُحها، وليست مجرد إحسان، ومن ثم ينتفي فيها ما قد يحرج الفقير.[1]

لذا ينبغي أن يُعلم أن الزكاة في الإسلام لها أحكام خاصة، فعلى المسلم أن يراعي هذه الأحكام، ويطبقها في حياته العملية، فالإنسان المسلم عندما يعتقد أن الله مراقبه في جميع أحواله، وأفعاله، في العبادات يؤديها على أكمل وجه، وبذلك يأخذ الثواب الكامل من الله.

(1) المصدر السابق، ص221.

المطلب الثاني
المراقبة بين الحقوق والواجبات

لقد امتنّ الله – سبحانه وتعالى – على الإنسان أنه لم يتركه سدىً، أو مهملاً مضيعاً في هذه الحياة الدنيا، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب ليبين للناس طرق الهداية، ويجنبهم الفتن والغواية، وقد استودع الله – جلت قدرته – في البشر سراً عظيماً وهو الفطرة التي بها ميز الإنسان الخير من الشر، قال تعالى: **[وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]** {البلد:10}.[1]

والإنسان بطبعه مدني يميل إلى الجماعة والأنس بها، والنفوس تتفاوت في بواطنها بين الخير والشر، لذا اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للجماعة ولي الأمر الذي يسوسها ويقودها نحو الرشد والنضج والاكتمال، لكن هذا الخليفة أو الرئيس مراقَب من الله تعالى في واجباته وحقوقه.

وخلاصة القول: أن المراقبة بين الحقوق والواجبات تنحصر في فئتين هما: الخليفة والشعب، أو الراعي والرعية، والقرآن الكريم وضع قواعد وضوابط، حتى لا يُظلم أحد، ويجب أن يعتقد الحاكم أن الله تعالى يراقبه في الحقوق والواجبات، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً – الخليفة بين الحقوق والواجبات:

(أ) **الحقوق:** توجد حقوق وصفات كثيرة للخليفة أو الحاكم، وسيقتصر البحث على أهمها، وتفصيلها كالتالي:

1- **الطاعة:** وقد ورد في تفسير قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ]** {النساء:59}، قال القرطبي: "طاعة ولي الأمر تكون واجبة إذا كانت في طاعة الله، ولا تجب طاعته إن كانت في معصية الله"،[2] وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **(اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)**،[3] جاء في شرح الحديث: قال ابن حجر: أن ولي الأمر إذا قام بتعيين

---

(1) موسوعة فقه القلوب، محمد التويجري، ج1، ص751.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ج5، ص259.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجماعة والإمامة / باب إمامة العبد والمولى، تحقيق: مصطفى البغا، ج1، ص246، رقم الحديث 661.

عبد حبشي على مسئولية بلد، فإنه تجب طاعة هذا العبد الحبشي، وقد اختار في الحديث العبد الحبشي لبيان المبالغة بالأمر في الطاعة.[1]

القول الراجح: وقد رجح البحث قول النووي "أجمع العلماء على أن طاعة ولي الأمر واجبة فيما يشق على النفوس مما ليس فيه معصية، فإن كانت معصية فتحرم الطاعة".[2]

2- **الراتـب:** إن فرض راتب للوالي ليتفرغ لخدمة شعبه، هو أمر شرعي، وقد جاء عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "لما استخلف أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين فيه"، قال الطيبي: "كان الصديق مشهوراً بكونه صاحب تجارة، فلما ولي أمر المسلمين تفرغ للنظر في أحوالهم، واحتاج إلى ما يسد مؤونته، فكأنه مهد لهذا الراتب من بيت مال المسلمين لسد حاجة أهله، وفي قوله يظهر مدى الاعتداد بالنفس العاملة، فمن كانت هذه صفته وهذا سمته، فهو أولى بالراتب".[3]

3- أن يتابع تسيير البلاد بنفسه، ولا يترك نفسه نهبة للتشاغل بالملذات، أو حتى النوافل، فقد تتغير النفوس ويتحول الأمين إلى خائن، وقد تتلاعب بالرؤوس الشهوات فتضل عن الطريق.[4]

يتبين مما سبق أن حكام المسلمين في عصرنا الحاضر غير مؤهلين ولا معدين الإعداد الإيماني، كما لا يقومون بالواجبات المنوطة بهم – إلا من رحم الله – فكانت النتيجة ضياع الأمة، وضياع ودائعها وأماناتها.

قال سبحانه وتعالى: [**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**] {النساء:58}.

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بينما النبي ﷺ يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ **(قال النبي ﷺ: ... فإذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال:**

---

(1) فتح الباري، ابن حجر، ج9، ص215.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج12، ص222.

(3) الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ج8، ص2604، (بتصرف وإيجاز).

(4) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص40.

كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة).[1]

قال الكرماني: إن على الحكام أن يقلدوا أهل الشرع في شئون حياة الناس، فهذا هو الأكمل والأقوم، وإلا فقد فرطوا فيما ائتمنوا عليه.[2]

والسؤال: ما هي صفات الحاكم:

إن من أهم صفات الحاكم ما يلي:

- العلم بآيات الأحكام في القرآن الكريم.
- معرفة أحاديث الأحكام من سنة النبي ﷺ.
- معرفة المسائل الشرعية المُجمع عليها حتى لا يُفتى بخلافها.
- العلم بالقياس فهو قاعدة الاجتهاد.
- العلم بكيفية استنباط الأدلة والبراهين من المقدمات، وكيفية تركيب تلك المقدمات.
- الإلمام باللغة العربية، حيث الأدلة الشرعية من القرآن والسنة لا يستطيع الاستدلال بها إلا من كان عالماً باللغة العربية.
- العلم بالناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، حتى لا يُحكم بالمنسوخ ويُترك الحكم الناسخ.
- العلم بحال الرواة من جرح وتعديل وقوة وضعف ...إلخ.
- العلم بالفقه، حيث يجب معرفة المذاهب الفقهية للعلماء حتى يُتأسى بأحدها.
- العلم بأصول الفقه لأن استنباط الأحكام لا يتم إلا بهذا العلم.[3]
- أن يكون مؤهلاً علمياً للمهمة التي سيقوم بها.
- أن يتحلى بالذكاء والفطنة والثقافة الواسعة الدينية والدنيوية والسياسية.

4- **تقليد المناصب:** إن تقليد المناصب يشمل كلاً من حقوق وواجبات الخليفة، فإن الله تعالى قال: **[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ]** {الزُّمر:9}.

والسؤال: ما هي الحكمة من ختم الآية الكريمة بهذه الفاصلة؟ إن الحكمة تكمن في إبراز

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم/ باب من سئل علماً، تحقيق: محمد زهير الناصر، ج1، ص21، رقم الحديث 59.

(2) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، الكرماني، ط2، ج2، ص6.

(3) حقوق الحاكم بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الدستورية، رسالة ماجستير، السوسي، ص81.

انعدام التساوي بين العلماء والجهلة، فإن كلاً منهما له مقعده عند الله،[1] لذا فإن من يتم تكليفه واستئمانه على مقدرات الأمة، يجب أن يتصف بالقوة والأمانة مصداقاً لقوله تعالى: **[قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ]** {القصص:26}.

والسؤال: لماذا وصفت ابنة شعيب – عليه السلام – بهذا الوصف؟ قال القرطبي موضحاً هذه المسألة: "إن موسى عليه السلام كان قوياً، بدليل رفع غطاء البئر لوحده، رغم أن الغطاء يحتاج إلى مجموعة من الرجال لرفعه، وفي الآية إشارة إلى أهمية دفع الأجر وتأصيل لمشروعيته، وهذا العرف معمول به في كل دين.[2]

ما سبق يوضح أن هناك جانباً مهماً في شخصية موسى الكليم – عليه السلام – ألا وهو جانب المروءة، حيث عمل ما عمل بدافع المروءة، على الرغم من أنه طريد غريب.

ولهذا عندما يجد الإنسان في نفسه الكفاءة في أي فرع أو مجال، فقد أباح له الشرع أن يطلب هذا المنصب، قال سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام: **[قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ]** {يوسف:55}.

وفي الحديث عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: **(يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة**

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، ص255، ويُنظَر أيضاً: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، رسالة ماجستير تفسير، كوثر النعسان، ص25.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج13، ص271.

خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها).[1]

من فوائد الحديث:

- قال النووي: "تجنب الإمارة لمن يعلم أنه ضعيف عن القيام بأدائها.
- الندم والخزي يوم القيامة للحكام المفرطين في حق شعوبهم.[2]

مما سبق يتبين ما يلي:

- إجراء اختبار لمن سيتولى حكم المسلمين.
- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

5- إن مسألة محاسبة الولاة (الوزراء) هي من أهم حقوق وواجبات الخليفة ليرقب أفعالهم عن كثب، وينظر سلوكهم، فيعزز ما هو طيب، ويقيم الأعوج.

إن الإمام الحقيقي للأمة هو قدوتها النبي ﷺ، وأن أول ما يتبادر إلى الذهن: ما هي مؤهلات القدوة؟ فإن مقدرات الأمة يجب أن يحملها رجال أكفاء يسيرون على نهج النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، وإن أي قدوة يجب أن ترتكز إلى منظومة متكاملة تستمد منهجها من القرآن الكريم، حيث قال تعالى: [**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**] {الأحزاب:21}، فقد حددت الآية عناصر ثلاثة هي:

1- لمن كان يرجو الله.
2- اليوم الآخر.
3- ذكر الله كثيراً.

إن هذه العناصر ضوابط وقيود تهذب النفس المؤمنة، وهي بمثابة زواجر بطريقة إيمانية، يقول سراج الدين الحنبلي في تفسير الآية: رغم الإيذاء الذي تعرض له النبي ﷺ من قتل عمه، وكسر رباعيته، والتعرض لألوان من المعاناة، إلا أنه وقف يساند الجميع بشخصه الكريم، فاقتفوا أنتم أيضاً أثره، وذلك لمن يتمنى الأجر من الله، ويتهيب يوم جزاء الأعمال،

---

(1) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب الإمارة / باب كراهية طلب الإمارة، ج1، ص428، رقم الحديث 1209.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج12، ص210.

وذكر الله في كل المواقف في الشدة والرخاء.[1]

وفي الحديث عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: **(كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟)** قال أقضي بكتاب الله، قال: **(فإن لم تجد في كتاب الله؟)** قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: **(فإن لم تجد في سنة رسول الله؟)** قال: أجتهد برأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله على صدره وقال: **(الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى به رسول الله).**[2]*

أهم ما يُستفاد من الحديث ما يلي:

- عمل اختبار لمن سيحكم الناس ويسوسهم بهدي الإسلام.
- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وفي الحديث عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سُليم يدعى ابن الأتبية**، فلما جاءه حاسبه، قال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: **(فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً)**، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **(أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أُهديت إليّ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحدٌ منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلأعرفنّ أحدٌ منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر)** أي تصيح[3]، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، ثم قال: **(اللهم هل بلغت)**

---

(1) اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض، ج15، ص526.

(2) مشكاة المصابيح، التبريزي، تحقيق: الألباني، ج2، ص1103، رقم الحديث 3737، رواه الترمذي، وأبو داوود، والدارمي، وقال الألباني: ضعيف.

* بعد تخريج الحديث وجد الباحث له عدة طرق تقوي بعضها البعض وتصل إلى درجة (حسن)، وقال أهل العلم: يؤخذ بهذا الحديث في فضائل الأعمال.

** لم أعثر له على ترجمة.

(3) يُنظَر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج12، ص129.

بصر عيني وسمع أذني.[1]

جاء في شرح الحديث:

- تحريم ما يُهدى للحكام.[2]
- على الوالي رد الهدايا إلى المال الذي وُليّ عليه.[3]
- قال البغوي: "قال الخطابي: في قوله (هلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر يُهدى إليه أم لا) دليل على أن كل أمر يُتذرع به إلى محظور فهو محظور".[4]
- محاسبة الحاكم المؤتمن، ومنعه من قبول الهدية.
- التشهير بخطأ الحاكم المتأول خطأً حتى يحذر.[5]

يقول الصلابي: "أن عمر بن الخطاب كان له جهاز سري يشبه المخابرات في أيامنا، ووظيفة هذا الجهاز متابعة الولاة وما يصدر عنهم من تصرفات بحق الرعية، كما كان يرسل المفتشين ليتحققوا من الشكاوى المرفوعة ضد الولاة، ومن أمثلة المفتشين الصحابي محمد بن مسلمة – رضي الله عنه– ومن جولاته التفتيشية:

بعث عمر – رضي الله عنه – محمد بن مسلمة – رضي الله عنه – فقدم على الكوفة، فسأل محمد بن مسلمة في مساجدها عن سعد بن أبي وقاص – رض الله عنه – وكانت مسألته علنية، فأثنى أهل الكوفة على سعد، وقالوا خيراً، فلما وصل محمد بن مسلمة إلى ديار بني عبس قال: أنشدكم بالله رجلاً يعلم الحق إلا قاله، فقام رجل يُدعى أسامة بن قتادة فقال: اللهم إن سألتنا فإن سعد لا يقسم بالسوية، ولا يغزو في السرية، ولا يعدل في الرعية، فقال سعد: اللهم إن قالها كذباً ورياءً فأعمي بصره وأكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن، فعمي واجتمع عنده عشر بنات".[6]

ثم إن الفاروق كان يقوم بجولات تفتيشية على الولايات، ومن أمثلة التفتيش أنه زار منزل أبي

---

(1) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب الإمارة / باب ما كتم الأمراء فهو غلول ج1، ص433، رقم الحديث 1220.

(2) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، ج6، ص122.

(3) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، يوسف الحنفي، ج1، ص348.

(4) شرح السنة، البغوي، تحقيق: الأرنؤوط، والشاويش، ج5، ص498.

(5) مصابيح التنوير على صحيح الجمع الصغير، الألباني، ج1، ص18.

(6) فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، الصلابي، ج1، ص352.

عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه –، فما كان من زوج أبي عبيدة إلا أن قرّعت آذان الفاروق بسبب حالة التقشف التي تعيشها، وقد أوردت كتب السير أن عمر – رضي الله عنه – استخدم أسلوب التحقيق الشخصي، فقد كان يستوضح بنفسه شكاوى الرعية مثل شكوى أهل الشام في عياض بن غنم – رضي الله عنه –.

فقد بلغ عمر أن أهل الشام اشتكوا من عياض بن غنم الذي انشغل بعد الولاية باللعب بطيور الحمام، وكان لديه ندماء يسامرونه، فبعث إليه عمر، فقدم، فحجبه ثلاثة أيام، ثم أعطاه الإذن بالدخول عليه، وأعطاه جبة من صوف، فألبسه إياها، وأعطاه ثلاثمائة شاه ليرعاها، فرعى ثلاثة أشهر، ثم دعاه وقال: كان لك حمام ونواب، أتراك تعود إلى ذلك؟ فقال: لا، فقال: ارجع إلى عملك، فأصبح عياض من أفضل العمال عند عمر – رضي الله عنه –.[1]

(ب) **الواجبات:** إن أي إنسان في مجال تخصصه عالم، والعلوم تتفرع وتتفاوت في أهميتها، وإن من أهم العلوم هي الخلافة والحكم والولاية، وقد فضل سبحانه وتعالى آدم – عليه السلام – على الملائكة الكرام في قوله: **[وَعَلَّمَ آَدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا]** {البقرة:31}.

يقول أبو حيان: "إن الله جل جلاله قد امتن على البشر أن أسجَد الملائكة الأبرار لأبيهم بسبب العلم، وهذا يظهر علو وشرف العلم الذي به كمال الصفات، وتمام الذات، فلا ريب أن الإحسان إلى الجذر إحسان إلى الفرع، وأن شرف الفرع بشرف الجذر"،[2] لذا فإن من أسباب الاستخلاف في الأرض: العلم والأمانة.

وحيث إن واجبات الإمام كثيرة، فقد اقتصر البحث على خمسة واجبات لمن سيحمل خلافة وولاية المسلمين، هي كما يلي:

1- **إقامة الدين:** قال تعالى: **[وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]** {النور:55}.

ويقصد بإقامة الدين رعاية الملة على ثوابتها الأصلية المستقرة ليبقى الدين محفوظاً من كل

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص365.

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص40.

بدعة،[1] حيث قال تعالى: [**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**] {الشُّورى:13}.

قال الطبري: "المعنى أن الله تعالى أرسل الرسل بالكتب والشرائع لتحريم الحرام وتحليل الحلال".[2]

قال تعالى: [**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**] {الحج:41}.

يستخلص مما سبق أنه لما كانت تتفاوت بطباعها النفوس بين الميل للحرام والبعد عن الحلال، فوجب إخضاعها لسلطان الحق، وقد فهم الخليفة الأول هذا المعنى جيداً، فكانت حروب الردة ضد المرتدين، وقال: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسولا لله لقاتلتهم على منعه.[3]

الحكم بالعدل: لا شك أن العدل أساس الملك، وهو ما ابرزته تجارب الأولين وعقولهم، ولا يكون إلا بإيتاء الضعيف حقه دون غلو أو تفريط، قال تعالى: [**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**] {النساء:58}.

قال الشوكاني: "المقصود بالعدل هو فصل الحكم على ما في القرآن الكريم، وليس بالرأي، فليس هذا من إحقاق الحق وإقامة العدل، وعند انعدام وجود الدليل في القرآن والسنة، حينها يمكن للحاكم أن يجتهد بأقرب حكم للحق".[4]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: **(سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل**

---

(1) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ج1، ص224.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: احمد شاكر، ج21، ص512.

(3) رفع الحرج والضيق في سيرة أبي بكر الصديق، الصلابي، ص198.

(4) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص555.

إلا ظله: الإمام العادل ...) الحديث.[1]

والسؤال: لماذا قدم الإمام العادل على الباقين؟

يقول العيني: "إن التقديم جاء لحكمة بليغة هي بيان مكان الأئمة العدول الذين يقومون بالأمور الجسام التي تعود بالنفع على أممهم، فهم بعملهم هذا أقرب مكانة إلى الله بعد الرسل".[2]

2- **تطبيق الأحكام الشرعية:** إن الآيات الدالة على الحكم بما أنزل الله كثيرة، منها:

- قوله تعالى: **[إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا]** {النساء:105}.
- قوله تعالى: **[إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ]** {المائدة:44}.
- قوله تعالى: **[وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]** {المائدة:45}.
- قوله تعالى: **[وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]** {المائدة:47}.
- قوله تعالى: **[وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ]** {المائدة:49}.

يقول سيد قطب في تفسير الآية الكريمة: **[وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، تحقيق: مصطفى البغا، ج1، ص234، رقم الحديث 629.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج5، ص178.

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] {المائدة:45}: "إن تطبيق حكم الله في الأرض هو التأكيد على معنى لا إله إلا الله، وحق تعبيد البشر لشريعة الإسلام وإقامة سلطان الله تعالى في أرضه ... حتى يقول: فهؤلاء السلاطين والحكام الذين أظهروا رفضهم لمعنى التوحيد أعلنوا هذا الرفض على أرض الواقع بعملهم وسلوكهم، حتى وإن لم يعلنوه بكلامهم، وأن لغة الواقع – بلا شك – هي أكبر من الألفاظ، ولهذا وصف القرآن الكريم هؤلاء الحكام بالفسق والظلم والكفر، بسبب رفضهم للتوحيد، حيث أعلنوا صراحة من خلال فرض الواقع رفضهم الحاكمية المطلقة لله تعالى، فشرّعوا من تلقاء أنفسهم شرائع لم يتأذن بها الله".[1]

وما اروع قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا خلاف بين عموم الناس أن الظلم مآله الدمار، وأن العدل خاتمته طيبة، ولهذا يقال: أن الله تعالى يخذل الأمة المؤمنة إذا كانت ظالمة، وأن الله تعالى يزيد بنصره الأمة العادلة حتى ولو كانت مشركة فاجرة".[2]

قال سبحانه وتعالى: **[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ]** {البقرة:170}.

قال القرطبي:

- إن التقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له إلا في الحق.
- من أصابته نازلة يجهل حكمها، عليه أن يقصد أعلم أهل زمانه، لقوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]** {النحل:43}.
- على العالم تقليد الحكم لعالم مثله، فإذا ما واجهته نازلة، وخفي عليه وجه الدليل والنظر، أو أراد أن يجدد النظر فيها، حتى يقف على المطلوب فيها، قصد ذلك العالم.[3]

قال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا**

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2، ص828–829.

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن قاسم، ج28، ص62.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: البرادوني، واطفيش، ج2، ص212، ط2.

تَعْلَمُونَ] {النحل:43}.

قال القرطبي: قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: أهل الذكر هم أهل القرآن، وقيل أهل العلم، والمعنى متقارب.[1]

لذلك يُفهم من النص ما يلي:

- عمل امتحان قدرات لتقدير كفاءة الشخص المعيّن.
- أن يكون المكلف على درجة عالية من الكفاءة.

ولما كان النبي ﷺ هو قدوة المسلمين في كل مناحي الحياة، ومنها الحكم، فقد اختار البحث نموذجاً واحداً من نماذج صاحب الجناب النبوي ﷺ، وهو المتمثل في قصة المرأة المخزومية، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **(أتشفع في حد من حدود الله)**، ثم قام فاختطب، ثم قال: **(إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**.[2]

وقد اقتدى الصحابة – رضي الله عنهم – بهدي النبي ﷺ في الحكم، وقد اقتصر البحث على نموذجين لحكم الصحابة هما: حكم سعد بن معاذ – رضي الله عنه – في بني قريظة، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن أُناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأُرسل إليه، فجاء على حمار، فلما بلغ قريباً من المسجد، قال النبي ﷺ: **(قوموا إلى خيركم، أو سيدكم)** فقال: **(سعد، إن هؤلاء نزلوا على حكمك)**، قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتّل مقاتِلتهم، وتُسبى ذراريهم، قال الرسول ﷺ: **(حكمت بحكم الله أو بحكم الملك)**.[3]

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن غلاماً قُتل غِيلة، فقال عمر: لو اشترك فيها أهل

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: البرادوني واطفيش، ج10، ص108.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب ما ذكر عن بني إسرائيل، تحقيق: محمد الناصر، ج4، ص175، رقم الحديث 3475.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب مناقب سعد بن معاذ، تحقيق: محمد الناصر، ج5، ص35، رقم الحديث 3804.

صنعاء لقتلتهم.[1]

3- **تحصين الثغور**: لما كان تحصين ثغور البلاد من أعظم واجبات الخليفة، يرى الباحث وجوب التعرف على هذا الواجب (تحصين الثغور) لغة واصطلاحاً.

التحصين لغة: قال الراغب في معنى قول الله عز وجل: [**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ**] {الحشر:14}، "أي جُعلت القرى محكمة كالحصون، وتحصن: إذا جعل الحصن سكناً".[2]

وجاء في المعجم الوسيط: "الحصن هو المكان المنيع".[3]

قال ابن فارس: "الثاء والغين والراء هي أصل واحد دال على التفتح والانفراج، فالثغر هو الفرج من فروج البلاد".[4]

الرأي الراجح أن معنى الثغر: هو الموضع الضعيف الذي يمكن للعدو اجتيازه، وهذا الموضع قد يؤتى منه براً أو بحراً.

وجاء في المعجم الوسيط: "الثغر هو المكان الذي يُخشى هجوم الأعداء منه".[5]

ومن خلال ما سبق تبين أن الثغر هو المكان المفتوح الذي يسهل على العدو الدخول منه للبلاد، كما أن التحصين هو حماية الأماكن من وصول الأعداء إليها.

التحصين اصطلاحاً: قال الفراهيدي: "الحصن كل مكان لا يوصل إلى داخله".[6]

وقال الأزهري في معنى قول الله عز وجل: [**لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**]

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب السن بالسن، تحقيق: محمد الناصر، ج9، ص8، رقم الرواية 6896.

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، ص239.

(3) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص180.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج1، ص379.

(5) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص97.

(6) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: المخزومي والسامرائي، ج3، ص118.

{الأنبياء:80}، "أي الحرز والمنع". [1]

قال الكفوي: "الثغر هو الموضع الذي يلي دار الحرب ومكان الخوف من مباغتة العدو، وهو كالثلمة للجدار يُخشى هجوم اللص منها".[2]

وجاء في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: "الثغر بفتح الثاء وإسكان الغين، هو الجانب المجاور من بلاد الإسلام لبلاد الكفر". [3]

لا شك أن هناك ترابطاً محكماً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمعنى التحصين الذي هو بمعنى الحماية والمنع والحرز.

وحيث إن قدوة المسلمين هو النبي ﷺ، وهو أول من حصن ثغور المسلمين في العهد المدني، يتبين أن تحصين ثغور المسلمين ظهر جلياً بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، حيث ظهر غدر يهود بنو قينقاع، فأجلاهم النبي ﷺ، ثم ظهرت خيانة بنو النضير التي حاولت قتل النبي ﷺ في العام الثالث بعد الهجرة، ثم أظهر بنو قريظة الغدر في العام الرابع بعد الهجرة اثناء غزوة الأحزاب، فحاصرهم النبي ﷺ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم.[4]

وفي هذا السياق فإن تحصين الثغور برز واضحاً في تجهيز جيش العسرة إلى تبوك، حيث كثرت تحرشات الروم ونصارى العرب بالمسلمين، فكان لابد من حماية بيضة المسلمين على حدود الجزيرة العربية.[5]

واليوم بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على احتلال المسجد الأقصى، لم يتحرك أي من حكام المسلمين ليحمي الديار ويحفظ المقدسات، وينهض ليقوم بالواجب المقدس وهو تحرير البلاد والعباد من دنس اليهود.

4- العمل على استتباب الأمن داخل البلاد:

الأمن لغة: قال ابن فارس: "أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، ج4، ص142.

(2) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش والمصري، ص501.

(3) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، عبدالمنعم، ج1، ص506.

(4) السيرة النبوية، الصلابي، ص454-548-610.

(5) الرحيق المختوم، المباركفوري، ص394.

وهي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق".[1]

وقال الراغب: "أصل الأمن زوال الخوف وطمأنينة النفس".[2]

الأمن اصطلاحاً: قال الكفوي: "الأمن ما يكون في مقابلة الخوف مطلقاً".[3]

وجاء في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: "الأمن هو حماية الوطن من أي خطر داخلي أو خارجي قد يؤدي إلى سيطرة احتلال خارجي".[4]

الأمن في عرف السياسة:

قال التركي: "إن السلامة وطمأنينة النفس، وزوال الخوف في المجتمع، أو ما تقوم به حياته من وسائل وأسباب ومصالح، وهو ما يشمل أمن الإنسان والمجتمع".[5]

وجاء في موسوعة السياسة: "الأمن هو تأمين سلامة الدولة ضد أخطار داخلية وخارجية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت احتلال أجنبي نتيجة انهيار داخلي أو ضغوط خارجية".[6]

الأمن عند علماء التفسير:

قال البقاعي: "الأمن هو هدوء في النفس بتوقع الخير".[7]

قال أبو حيان: "الأمن هو زوال ما يُحذر".[8]

بالنظر إلى التعريفات السابقة، يتبين أن للأمن تعريفات عدة، وذلك لتعدد المشارب وتنوع التصور، واختلاف المفاهيم.[9]

بناءً على ما سبق يمكن تعريف معنى الأمن في اللغة بأنه: **حصول الهدوء للنفس**

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص133.

(2) مفردات غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داوودي، ج1، ص90.

(3) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ج1، ص187.

(4) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ج39، ص392.

(5) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، التركي، ج1، ص17.

(6) موسوعة السياسة، الكيالي وآخرون، ج1، ص331.

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج3، ص577.

(8) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ج2، ص68.

(9) الأمن في ضوء القصص القرآني، رسالة ماجستير، الجدبة، ص3-4.

الإنسانية، وفي الاصطلاح يمكن تعريف الأمن بأنه: **حماية الوطن من أي خطر داخلي أو خارجي قد يؤدي إلى سيطرة احتلال خارجي.**[1]

إن توفير الأمن لأبناء الأمة من الواجبات المهمة الملقاة على عاتق الخليفة، قال الله عز وجل: [**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**] {المائدة:33}.

قال الطبري: "بيّن الحق – سبحانه وتعالى – حكم المفسد في الأرض بأن عقوبته تتمثل في القتل أو الصلب، وقطع اليد والرجل من خلاف، أو الإبعاد من الأرض التي يسكنها ليكون خزياً في الحياة الدنيا، وإن لم يتب فعذاب عظيم في الدار الآخرة".[2]

ولعل سبب نزول الآية يميط اللثام عن أسرار وحكم التشريع الإلهي فيها، روى البخاري ومسلم عن أنس: أن نفراً من عُكْل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا الأرض وسقمت أجسادهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: **ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها؟** فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فصحّوا، فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث في آثارهم، فأُدركوا فجئ بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمّرت* أعينهم، ثم نُبذوا في الشمس حتى ماتوا.[3]

لا تخفى أهمية أمن البلاد وسلامة المواطن، وبالتالي يقع على عاتق الخليفة توفير ركائز الأمن في جميع أنحاء البلاد التي يحكمها، وفي الحديث الصحيح عن أنس – رضي الله عنه–: **أن يهودياً رضّ رأس جارية بين حجرين، قيل: من فعل هذا بك أفلان أفلان؟ حتى سمي اليهودي فأومأت برأسها، فأُخذ اليهودي فاعترف، فأمر النبي ﷺ فرُضّ رأسه بين حجرين.**[4]

قال العيني: "كانت عادة القاتل أن يقتل الأطفال في نفس المكان، فكان يمشي في الأرض

---

(1) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ج39، ص392.

(2) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج10، ص243.

* كحلت بمسامير محماة.

(3) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب تحريم الدماء وذكر القصاص والدية / باب الحكم في من يرتد عن الإسلام ويقتل ويحارب، تحقيق: الإلباني، ج1، ص336، رقم الحديث 1024.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الخصومات / باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة، تحقيق: مصطفى البغا، ط1، ج3، ص2282، رقم الحديث 2595.

بالفساد، لذلك قتل حداً بنفس الطريقة التي قتل بها الطفلة".[1]

وهذا يوضح أهمية الأمن في حياة المجتمع المسلم، وأن على الخليفة أو الحاكم الحفاظ على الأرواح، وتأمين حياة الناس، وتوفير الحماية لهم، وحماية المواطن والوطن من أي اعتداء.

5- **توفير سبل المعيشة مع المساواة بين الناس:**

يجب على الحاكم توفير سبل المعيشة والراحة لأبناء رعيته، ومن النماذج الدالة على ذلك في عهد عمر بن عبدالعزيز: شكوى المرأة السوداء من مصر.

جاء البريد من مصر يحمل شكوى مولاة ذي أصبح[2]، وقد ذكرت فيها قِصَرَ حائطها مما يترتب عليه نهب دجاجها، فأرسل عمر بن عبدالعزيز إلى تلكم المرأة أنه بلغه كتابها، وأنه بعث كتاباً إلى عامله على مصر، ويدعى أيوب بن شرحبيل، وأمره بتحصين الحائط، فلما وصل الكتاب إلى أيوب ركب بنفسه إلى بلدتها الجيزة، وسأل عن المرأة فإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بكتاب عمر بن عبدالعزيز وقام بتحصين حائطها.[3]

6- **توفير وسائل التعليم للرعية وإن كانوا فقراء:**

يُعد التعليم حياة الروح، كما أن الطعام حياة البدن، والأمة الخالية من العلم، هي أمة ميتة لا خير فيها، ولا أمل يُرتجى من ورائها، لذا يجب على الحاكم المسلم توفير كل وسائل العلم كالمدارس والجامعات والمعاهد الشرعية وحتى مراكز محو الأمية بالمجان، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في ذلك.

يقول حوّى: "كان من بين أسرى بدر فقراء لم يستطيعوا فداء أنفسهم بالمال، فجعل النبي ﷺ فداءهم أن يقوموا بتعليم أبناء الأنصار الكتابة".[4]

أن فطنة الحاكم تقوده إلى احتياجات المجتمع الماسة، وأهمها التعليم، وهذا ما ظهر جلياً في هذا السلوك النبوي القويم الراشد.

وفي الحديث عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ، ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج12، ص255.

(2) لم أعثر له على ترجمة.

(3) سيرة عمر بن عبدالعزيز، ابن رافع، تحقيق: أحمد عبيد، ج1، ص63.

(4) الأساس في السنة وفقهها، حوى، ج1، ص490.

رسول الله ﷺ يقول: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).**[1]

ثانياً – حقوق وواجبات الأمة نحو الخليفة:

إن الخليفة إذا أدى ما عليه من حقوق تجاه الأمة، فيلزمها واجبان رئيسان هما: الطاعة، والنُصرة،[2] وتفصيلهما كالآتي:

الطاعة: إن طاعة ولي الأمر واجبة، وهو أمر قد تم الحديث عنه في سياق البحث.[3]

أ- النُصرة: إن أعظم أبواب النُصرة للحاكم هي بذل النصح، وذلك انطلاقاً من حديث النبي ﷺ: **(الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم).**[4]

قال ابن حجر: "لفظة النصيحة مشتقة من نصح العسل وهو تصفيته، ولهذا يقال نَصَحَ الشئ إذا خَلُص، والحديث يعد أحد أرباع الدين، والمقصود من بذل النصح لأئمة المسلمين هو تقديم يد العون على ما حُمّلوا من مسئوليات جسام، وتنبيههم وقت الغفلة، وتوحيد الكلمة عليهم، وردهم عن آفة الظلم بالحكمة والموعظة الحسنة".[5]

وفي هذا المعنى لابد من العمل بالمشورة مصداقاً لقوله تعالى: **[وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ]** {آل عمران:159}.

يقول الشوكاني: "قال ابن خويزمنداد[6]: إن على الحكام واجب عظيم يتمثل في استشارة أهل العلم فيما جهلوه، وفيما يلتبس عليهم من غوامض المسائل، كما يتعين عليهم الاستئناس بآراء

---

(1) يُنظَر: مشكاة المصابيح، التبريزي، ج1، ص74، رقم الحديث 212، قال الألباني: حسن.

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص42.

(3) ص 51 من البحث.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان / باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة، تحقيق: محمد الناصر، ج1، 21، رقم الحديث 57.

(5) فتح الباري، ابن حجر، ج1، ص138.

(6) لم أعثر له على ترجمة.

كبار قادة الجيش في أمور الحرب"، وقد ذكر القرطبي عن ابن عطية أنه لا خلاف بين الفقهاء على وجوب عزل الخليفة أو الحاكم الذي لا يستشير أهل الدين والعلم".[1]

وفي هذا السياق استشار النبي ﷺ أصحابه في مواقف كثيرة كما حدث في بدر، واختيار المكان، واستجابته ﷺ لنصيحة الحباب بن المنذر – رضي الله عنه –،[2] وكذلك في حفر الخندق تنفيذاً لنصيحة سلمان الفارسي – رضي الله عنه –،[3] والأمثلة في هذا الباب كثيرة، فليرجع إليها في كتب السير.

(1) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص394.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: طه سعد، ج3، ص167.

(3) المصدر السابق، ج4، ص172.

المطلب الثالث

المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى

تبرز أهمية المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى في **إتقان العمل**، وقد أظهرت كثير من الآيات القرآنية هذا الجانب، منها قوله تعالى: **[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا]** {هود:7} .

قال القرطبي: "قال قتادة: معنى (أيكم **أحسن عملاً**)، يعني أكمل عقلاً، وقال مقاتل: أيكم أتقى لله، وقال ابن عباس: أيكم أعمل بطاعة الله".[1]

لذا فإن هناك سراً بليغاً وحكمة عظيمة في خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع قدرة الحق تعالى على خلقهن دفعة واحدة تكمن في الإتقان، وإن من وراء هذا الخلق العظيم إشارة عظيمة للخلق تظهر جلية في حسن العمل وإظهاره بأفضل صورة، فالأصل في العمل – كل العمل – بشقيه: العبادة، والسلوك، يجب أن يتم بأحسن وأكمل الوجوه، لأن هذا العمل سيُعرض على الله سبحانه وتعالى، وسيجزي به.

جاء في تفسير قوله تعالى: **[وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ]** {النمل:88}.

قال حقي: "إن الله تعالى أحكم خلقه، وأراد بهذا الإحكام تنوير الأذهان بعظمة الأعمال وإجادة الصنعة، فجاءت أفعاله – سبحانه – على أساس الحكمة والمنهج الرصين".[2]

وفي سياق تحصيل رضوان الله، وردت في الكتاب العزيز آيات كثر، نذكر منها:

- قوله تعالى: **[لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا]** {الفتح:18}.
- قوله تعالى: **[قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ]** {المائدة:119}.
- قوله تعالى: **[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ج9.

(2) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، ج6، ص274.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ] {التوبة:100}.

- قوله تعالى: **[لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ]** {المجادلة:22}.
- قوله تعالى: **[جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ]** {البيّنة:8}.

إن إتقان العمل منشق ونابع من صميم المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى، فالمفترض والمأمول من المسلم أن يحرص على أداء العمل في جميع مناحي الحياة، في البيت، والعمل، والمسجد، في البيع والشراء، وإجادة العمل من شيم وسمات الصالحين، والمسلم لا يتوقف البتة عن تحسين عمله وتطويره، والقرآن يحث على هذا المبدأ، والمتدبر في قوله تعالى: **[لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ]** {المدَّثر:37}، يجد نكت بديعة، حيث قال ابن القيم: العبد في تقدم متواصل مستمر، أو يتراجع القهقرى للخلف، فلا يوجد أبداً شئ اسمه الوقوف، فإن لم يكن في المقدمة فهو في المؤخرة ولا شك.[1]

وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**.[2]

قال المناوي في شرح الحديث: "على صاحب المهنة الذي آتاه الله تعالى الآلات أن يُحكِم صنعته، وتكون نيته أن ينتفع بها العباد الذين استأمنوه على هذه المهنة، والا تكون نيته العمل بمقدار المال المعطى له كأجرة، وإنما على حسب ما تقتضيه هذه المهنة".[3]

وينبثق عن هذه النقول الإجادة في جميع ميادين الحياة، وفروع المعاملات، وقد أظهر النبي ﷺ الفرح الشديد بإتقان سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – الرمي فقال: **(إرمِ سعد فداك أبي**

---

(1) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج1، ص278.

(2) صحيح الجامع وزيادته، الألباني، ج1، ص383، رقم الحديث 1880، قال الألباني: حسن.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج2، ص363.

وأمي) قالها يوم أحد.[1]

وعن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مُضر*، بل كلهم من مُضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام ثم صلى، ثم خطب فقال: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]** {النساء:1}، والآية الأخرى التي في آخر الحشر **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ]** {الحشر:18}، **تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره)** حتى قال: **(ولو بشق تمرة)**، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مّذهبة، فقال رسول الله ﷺ: **(من سن في الإسلام سُنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن في الإسلام سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ).**[2]

معنى مجتابي النمار: قال الأصبهاني: قال علماء اللغة النمار جمع نَمِرة، وهي كساء أسود غليظ، فمعناها: لابسي الأكسية، فجعلوا لها جيباً، أي فتحة عند العنق، وهذا يدل على الفقر

---

(1) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، ج2، ص752. ينُظَر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب من انتظر حتى تُدفن، تحقيق: محمد الناصر، ج4، ص39، رقم الحديث 2905.

* مُضَر: هي قبيلة عربية، وهم بنو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت أهل الكثرة والغلبة بالحجاز من بني سائر بن عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم. يُنظَر: مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، رضوان، ج1، ص56.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة / باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج2، ص704، رقم الحديث 1017، ومُذهبة: بمعنى مطلية بالذهب.

الشديد.[1]

من فوائد الحديث:

- "يُستحب جمع الناس للأمور العظام، وحثهم على المصالح، وتحذيرهم من القبائح.
- مهما كان العربي فقيراً، فالغالب أنه لا يدع السلاح، بل يكون معه دائماً.
- عدم احتقار الصدقة مهما صغرت".[2]

يتضح مما سبق شدة فرح النبي ﷺ بإجادة التعامل مع هؤلاء الفقراء، ولهذا فإسلامنا يدعونا دوماً إلى المهارة في التعامل مع كافة متغيرات الحياة ومستجداتها.

---

(1) يُنظَر: الترغيب والترهيب، تحقيق: أيمن شعبان، ج1، ص404.

(2) موقع الألوكة الشرعية، على الرابط: www.alukah.net\sharia ، (بتصرف وإيجاز).

المبحث الثاني
أنـواع المراقبـة

المطلب الأول
مراقبة الله تعالى للعبد

تم الحديث في المطلب الثاني من المبحث الأول عن مراقبة الله سبحانه وتعالى للحاكم أو الخليفة في الحقوق والواجبات، وسيتم في الصفحات التالية الحديث عن أنواع المراقبة، وهي: مراقبة الله تعالى للعبد، ومراقبة العبد لنفسه، ومراقبة العبد للعبد، وذلك على النحو التالي:

ذكر القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي تدل على مراقبة الله تعالى للعبد، منها:

- قوله تعالى: [**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**] {ق:18}.
- قوله تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**] {فصّلت:40}.
- قوله تعالى: [**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**] {غافر:19}.
- قوله تعالى: [**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**] {الأنفال:43}.

وسيتم تسليط الضوء على الآية الكريمة: [**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**] {الزُّخرف:80}.

سبب النزول: روي أن ثلاثة كانوا بين الكعبة وأستارها، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا؟ فرد آخر: إذا جهرتم سمع كلامكم، وإذا أسررتموه في أنفسكم لم يسمع، فقال الثالث: إن كان يسمع العلن فأولى به أن يسمع السر، فنزلت الآية.[1]

ماذا أفاد الاستفهام في الآية؟ وبم أفاد العطف في (رسلنا)؟

إن الكلام بعد أم استفهام خُذفت منه أداة الاستفهام، وهو استفهام تقريري وتهديد، وحرف بلى جواب للنفي من قوله عز وجل (أنا لا نسمع)، أي بلى نحن نسمع سرهم وعلانيتهم، وأفاد

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش ج16، ص119.

العطف في قوله (ورسلنا) إعلام الناس أن علمَ الله – عز وجل – بإسرارهم هو علمٌ يترتب عليه أثر فيهم، وهو أن هناك كتبة للأعمال، وهو مؤذن بأنها ستسحب لهم يوم الحساب، والكناية قد تكون على وجه التحقيق، أو المجاز، أو كفاية عن الاحتفاظ والإحصاء.[1]

و(أم) في قوله (أم يحسبون) هي في السياق منقطعة بمعنى بل، وهي للإضراب والانتقال من توبيخ أهل النار إلى جناية المشركين، والهمزة في أم تفيد الإنكار.[2]

جاء في تفسير قوله تعالى: **[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]** {ق:18}: يقول ابن الجوزي: "الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه، فقلوب الجهال تستشعر البعد ...، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة فكفتهم من الانبساط، ولولا نوع تغطية على عين المراقبة الحقيقية، لما انبسطت يد إلى الطعام، فإذا تحققت المراقبة، حصل الأنس، وإنما يحصل بالطاعة".[3]

إن مضمون العديد من الآيات في القرآن يُظهر أن الله – جل جلاله – رقيب على أعمال عباده من محياهم إلى مماتهم، ومنها قوله سبحانه وتعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا]** {النساء:1}.

والسؤال: ماذا أفادت لفظة (كان) في سياق الآية؟

يقول أبو حيان: "إن لفظة كان تخبر عن اتصال مضمون الجملة بالماضي، والله سبحانه وتعالى متصف بهذا الوصف (رقيباً) في جميع الأزمنة حالاً وماضياً ومستقبلاً، حيث إن تقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن".[4]

وقال السيوطي: "إن لفظة كان تأتي دالة على الديمومة في حق صفات الله تعالى، مثل: **[وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا]** {النساء:134}".[5]

وروى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس – رضي الله

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج25، ص261–262.

(2) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج9، ص111.

(3) موسوعة فقه القلوب، محمد التويجري، ج1، ص751.

(4) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ج6، ص531.

(5) همع الهوامع في شرح الجوامع، السيوطي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ج1، ص438.

عنه –: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ... وقال: وكان الله غفوراً رحيماً (النساء:96)، عزيزاً حكيماً (النساء: 96)، سميعاً بصيراً (النساء: 58)، فكأنه كان ثم مضى؟

فأجاب ابن عباس – رضي الله عنهما – فقال: وكان الله غفوراً رحيماً، سمى نفسه ذلك، وذلك قوله: أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله.[1]

إن لفظة **(كان)** تدل على الاستمرار في حق صفات الله تعالى، ولها صفة المراقبة، فالله – جل جلاله – رقيب على كل الوجود، وأهم ما يخصنا هنا رقابته على البشر من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وقد اقتصر البحث على نموذج لمراقبة الله على البشر وهو: قصة موسى – عليه السلام – مذ كان وليداً إلى استلامه أمانة النبوة، حيث يقول تعالى مخاطباً موسى الكليم: [**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ**] {طه:38-39}. إلى قوله تعالى: [**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**] {طه:40}.

يقول ابن عاشور: "إن العناية الإلهية الأولى بموسى كانت توطئة للاصطفاء بالرسالة، وإن هذا الكرم الإلهي هو شرح وطمأنينة لقلب موسى – عليه السلام – ليعلم بعد ذلك أنه في معية الله في جميع الأوقات المستقبلية".[2]

إن مراقبة الله تعالى لنبيه الكليم ذاتها تنطبق على جميع البشر، منذ ولادتهم حتى مماتهم، وفي الحديث عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ **(إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: ها حضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير / باب سورة فصلت، تحقيق: مصطفى البغا، ج4، ص1814، رقم الحديث 4537.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج16، ص215.

كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شئ).[1]

قال عطية سالم: "حديث البطاقة من أعظم أحاديث الميزان، ومن فوائده:

- إثبات الميزان يوم القيامة، وهو ميزان له كفتان محسوستان.
- لا شئ يوازن اسم الله تعالى.
- الله – عز وجل – يقيم الحجة على الخلائق بالميزان".[2]

وفي الحديث عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالط الناس بخلق حسن).**[3]

من فوائد الحديث:

قال ابن رجب: "تقوى الله من أعظم الوصايا الجامعة لحقوق الله وحقوق عباده، وإن فعل المندوبات وترك المكروهات هي أعلى مراتب التقوى".[4]

وقال ابن عثيمين: "إن الحسنة تمحو السيئة وإن لم تكن هي التوبة، لذا ينبغي على المسلم تدريب النفس على حسن الخلق".[5]

يُفهم من الحديث تقسيم المعاملة إلى ثلاث أمور:

- استشعار مراقبة الله في السر والعلن.
- استحضار المراقبة الذاتية في الخلوات.
- التأدب مع خلق الله ثمرة عظيمة من ثمرات المراقبة.

والسؤال: هل هناك علاقة بين التقوى والمراقبة؟

إن المراقبة هي جماع الخيرات، والتقوى هي إحدى روافدها، وقد حثت كثير من الآيات

---

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج1، ص366، رقم الحديث 135، قال الألباني: صحيح.

(2) شرح الأربعين النووية، عطية سالم، ج10، ص4.

(3) مشكاة المصابيح، التبريزي، تحقيق: الألباني، ج3، ص1409، رقم الحديث 5083، قال الألباني: حسن.

(4) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: الأرنأووط، وباجس، ج1، ص399.

(5) شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين، ج1، ص197.

على التحلي بالتقوى، منها:

قوله تعالى: [**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**] {آل عمران:133}.

وقوله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**] {الحشر:18}.

وقوله تعالى: [**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**] {البقرة:281}.

التقوى لغة:

قال الراغب: "الوقاية حفظ الشئ من الأذى، والتقوى: جعل النفس في وقاية مما يُخاف".[1]

وقال ابن فارس: "وقى: الواو والقاف والياء كلمة تدل على دفع شئ عن شئ بغيره".[2]

التقوى اصطلاحاً:

قال الكفوي: "ترك الإصرار على الذنب، وترك الاغترار بالعبادة".[3]

وجاء في المعجم الوسيط: "التقوى هي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه".

ومما يزيد الأمر وضوحاً لدى القارئ، هو عظيم مراقبة الله – عز وجل – لعبيده، ورصد أحوالهم، حديث المفلس، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيام بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من**

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داوودي، ج1، ص881.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج6، ص131.

(3) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ج1، ص299.

خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار).[1]

قال الشوكاني: "الحديث يطوي بين ثناياه فوائد عظيمة منها:

- المظلوم يأخذ حقه في الآخرة قصاصاً على وجه التقدير، فالمظلمة معلومة القدر.
- أجمع العلماء أن من تنازل لخصيمه عن مظلمته فلا رجوع له بعد التنازل.
- أثبت الحديث العدل الإلهي المطلق".[2]

من أسرار الحديث:

- ❖ المراقبة الإلهية للعباد، فالمحسن يثاب، والمسئ يعاقب.
- ❖ تنبيه العباد إلى ضرورة ضبط السلوك اليومي استعداداً للعرض على الله تعالى.
- ❖ الإفلاس من الحسنات في الدار الآخرة أخطر بكثير من الإفلاس المالي في الدنيا.
- ❖ أهمية مطابقة السلوك للعبادة، فالمفلس لم ينفعه صلاته وصيامه وزكاته.
- ❖ الاستخفاف بحقوق الناس من الكبائر.

وكمثال واقعي على مراقبة الله تعالى، يورد البحث قوله سبحانه وتعالى: [**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**] {ق:18}.

يقول القرطبي: "أي لا يتكلم الإنسان بشئ إلا وسُجِّل عليه، ولفظ (يلفظ) مأخوذ من لفظ الطعام، وهو إخراجه من الفم".

ومعنى كلمة (رقيب) ثلاث معان: أنه المتّبع للأمور، أو الحافظ، وهو قول السُّدي، والثالث أنه الشاهد.

قال الضحاك: "أما العتيد فلها معنيان: أحدهما أنه الحاضر الذي لا يغيب، والثاني أنه الحافظ المُعّدّ للحفظ أو الشهادة".[3]

وقال البقاعي: "ليعلم العبد أنه ليس بمضيع ولا مهمل، فالله – جلت قدرته – غنيٌ عن

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، تحقيق: محمد عبدالباقي، ج4، ص1997، رقم الحديث 2581.

(2) نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق: عصام السبابطي، ج5، ص308.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق، أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، ج17، ص11.

كتابة الحفظة، وإنما كان ذلك لإظهار مطلق العدل".[1]

"وعلم العبد بذلك بإحاطته بتفاصيل أحواله لطفٌ به في الكف عن السيئات، والرغبة في الحسنات".[2]

وقد ذكر – سبحانه وتعالى – أنه مع علمه بالعبد، فقد وكّل به ملكان يكتبان ويحفظان عمله، وذلك لإلزامه الحجة عليه.[3]

ويمكن حصر الثمار المستفادة من مراقبة الله تعالى للعبد فيما:

أ. **شهادة الملائكة:** والدليل قوله تعالى:[**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**] {الانفطار:10}، وقوله: [**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**] {ق:21}، وقوله: [**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**] {ق:18}.

ب. **شهادة الأنبياء:** والدليل قوله تعالى: [**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ**] {المائدة:117}، وقوله: [**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**] {البقرة:143}، وقوله: [**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**] {النساء:41}.

ج. **شهادة أنه الإسلام:** والدليل قوله تعالى:[**وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ**] {الزُّمر:69}، وقوله: [**وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**] {غافر:51}.

د. **شهادة الجوارح:** وهي بمنزلة الاعتراف بل أعجب، والدليل قوله تعالى: [**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ**] {النور:24}.[4]

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج21، ص376.

(2) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد الأنجري، تحقيق: أحمد رسلان، ج5، ص449.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج5، ص88.

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، ج4، ص88، (بتصرف وإيجاز).

المطلب الثاني
مراقبة العبد لنفسه

بعد أن ذكر البحث مراقبة الله تعالى للعبد، ومراقبة العبد لنفسه، جاء هذا المطلب ثمرة لتجسيد المراقبة بالمفهوم الشامل، والذي من خلاله يفهم العبد أن مراقبة الله تعالى له، ومراقبته لنفسه، بأن ما يرضاه لنفسه يرضاه للآخرين، وما يكرهه لنفسه يكرهه للآخرين.

إن مراقبة العبد لنفسه تنبع من علمه أن الله تعالى بصير بأعمال العباد، وهو ما أظهرته كثير من الآيات، منها:

- **[هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ]** {آل عمران:163}.
- **[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {هود:112}.
- **[وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ]** {فاطر:31}.
- **[إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** {فصّلت:40}.

وقد اقتصر البحث على واحدة من نظائر المراقبة وهي اسم الله (البصير)، ومن اشتقاقاتها لفظة (بصيرة) الواردة في قوله تعالى: **[بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ]** {القيامة:14}.

مدلول كلمة بصيرة:

جاءت لفظة بصيرة مؤنثة، وهي في وصف الإنسان المذكر تشير إلى معان عدة أهمها:

- إن الإنسان ليس تسمية للشخص الواحد، بل تسمية جنس فيه الجماعة.
- أن لفظة بصيرة تدخل الهاء على المذكر للمبالغة، كقولهم: علامة ونسابة.
- الإنسان هو تسمية ما يراه بجوارحه كلها من السمع والبصر والأيدي والأرجل والرأس،

فتصير كل الجوارح بصيرة، أي تشهد عليه بما عمل.[1]

- قال الأخفش: "هو كقولك: فلان عبرة وحجة".[2]

"إن ترك المعاصي، حتى يصبح تركها عادة عند المسلم، يجعل عنده ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه، وإن الاستغراق في مراقبة الله وتقديسه لهو أكبر مؤهل لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، وسعادتها السرمدية في الدار الآخرة".[3]

"وإن رقابة المسلم الذاتية تنشأ بين ثنايا التربية الإيمانية الصحيحة، فإذا تغذت الروح على قناعات وثقافات الإسلام المؤصِّلة للرقابة على العمل – كل العمل – يتيقن المؤمن ساعتئذٍ أنه إن نجا من رقابة البشر فلن يفلت بالتأكيد من رقابة رب البشر".[4]

يتضح مما سبق أن مراقبة العبد لنفسه لا تتحقق إلا بأمور ثلاثة:

أولاً: اليقين التام أن الله – جلت قدرته – يراقب العبد في كل الأحوال: وهي قاعدة صلبة ذات أسس راسخة في النفس الإنسانية، إذا تأصلت انعكس هذا الفهم على السلوك والاعتقاد، وظهر جلياً في الأقوال والأعمال، فمن علم أن الله – عز وجل – رقيبه، استحى من الله في السر والعلن، ووزن أقواله قبل أن تخرج من فيه، واهتم بأعمال الجوارح حتى لا يظهر عليها ما يسأله عنه سيده في غده.

ثانياً: الفهم الواعي أن الله رقيب على ما في الصدر: إن حديث النفس أمر جبليّ، وهو أمر لا يؤاخذ عليه شرعنا المطهر،[5] وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم)**، لكن بواطن الصدور ستظهر يوماً في فلتان اللسان، أو قسمات الوجه، وكذلك قطعاً في

---

(1) تفسير الماتريدي، محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج10، ص342. ويُنظَر أيضاً: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ج10، ص86.

(2) اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني، تحقيق: عبدالموجود، ومعوض، ج19، ص556.

(3) شرح كتاب الصيام من زاد المستنفع، عبدالكريم خضير، ص16.

(4) موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من العلماء، ج1، ص13.

(5) العبادة المفقودة – مراقبة الله تعالى، سعد بن سعيد الحجري، ص14–16.

السلوك والأفعال، وبهذا ينشأ في وجدان النفس مبدأ الرقابة الذاتية.

ثالثاً: الثقة الكاملة بأن الله يسمع كلامنا ويحصيه: إن علم العبد أن الله تعالى يحصى عليه مثاقيل الذر، يجعله دوماً مبادراً للخيرات، مجتنباً للمعاصي، وهو ثمرة هذا العلم والفهم.[1]

وفي تفسير قوله تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**] {فصّلت:40}، قال علماء التفسير أن من لطائف الآية:

- قوله تعالى: اعملوا، تهديد ووعيد واضح.[2]
- لا يفقه الموعظة إلا أهل الفطنة والإيمان.[3]

والمتأمل في قوله تعالى: **[وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] {هود:93}**، حذفت الفاء التي يتطلبها السياق القرآني، وفي حذفها لفت انتباه السماع إلى سؤال هو: فماذا بعد ذلك؟ وهذا أبلغ في الوعيد والتهويل، لأن قوله: سوف تعلمون يخفي على ما لا يُدرك سره، وينطوي بين ثناياه على ما لا يُسبر غوره من أعمال التهديد والانتقام.[4]

---

(1) يُنظَر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب الخطأ والنسيان ...، ج8، ص135، رقم الحديث 6664.

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، ج3، ص203.

(3) البحر المريد في تفسير القرآن المجيد، أحمد الأنجري، تحقيق: أحمد رسلان، ج2، ص554.

(4) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج4، ص421.

المطلب الثالث

مراقبة العبد للعبد

بعد أن تطرق البحث إلى مراقبة الله تعالى للعبد، ومراقبة العبد لنفسه، كان لابد من ذكر مراقبة العبد للعبد، ومعناها: **أن العبد يعمل العمل ويعتقد أن الآخرين ينظرون إليه، هل يتقن العمل أم لا؟**

- قال سبحانه وتعالى: **[يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ]** {سبأ:13}.
- وقال تبارك وتعالى: **[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]** {التوبة:105}.
- وقد اختار البحث قوله تعالى: **[وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ]** {هود:93}.

المعنى الإجمالي للآية أنه: لما يئس خطيب الأنبياء شعيب – عليه السلام – من استجابة قومه لدعوته، جهر بموقف الفصل بينه وبينهم، فنادى عليهم أن يا قوم اعملوا على طريقتكم وابذلوا كل طاقتكم لإيقاع شروركم بي، فإنني سأعمل قدر استطاعتي بما أعطاني الله من طاقة، فأنا ثابت على دعوتي، وأنتم باقون على الضلال والشرك، ثم صرح بلغة الوعيد ولهجة التهديد بأنكم ستكتشفون حقيقة الخزي في الدنيا والنكال في الآخرة، وانتظروا هذا العذاب فأنا معكم من المنتظرين.[1]

إن مراقبة العبد للعبد تكون في حدود مسئولية العبد، وفي هذا المعنى اختار البحث قوله تعالى: **[وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]** {القصص:23-24} .

قال ابن كثير: "أن موسى – عليه السلام – لما وصل مدين كان هناك بئر يرده رعاة الأغنام لسقيا الماء، ووجد أن هناك امرأتين تكفكفان وتمنعان الغنم من الشرب حتى لا تتعرضا للأذى، فلما رأى موسى هذا الأمر رحمهما وسألهما عن الخبر، فأخبراه أنهما لا تسقيان الغنم حتى

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، ج3، ص203.

ينتهي الرعاة، وأن والدهما كبير السن، ولما أشبع الرعاة أغنامهم وضعوا صخرة ثقيلة على البئر لا يحتمل إزاحتها إلا مجموعة رجال، فرفع موسى – عليه السلام – الصخرة وسقى الغنم، ثم أن موسى دعا وأمنت المرأة دعاءه".[1]

وقال ابن عاشور: "أن فعل موسى – عليه السلام – كان محضاً لا يطلب عليه المال كونه لم يعرف المرأتين ...".

وعقب في تفسيره لآية: [**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**] {القصص:26} بأنها جملة تفيد علة للإشارة عليه – على والدها – باستئجاره، أي لأن مثله – موسى عليه السلام – من يُستأجَر، ثم جاءت كلمة جامعة مرسلة مثلاً وهي **(القوي الأمين)**، ففيها العموم ومطابقة الحقيقة دون تخلف ...، وتقدير الكلام: استأجر فهو قوي أمين، وأن خير من استأجر مستأجر القوي الأمين، وقد اشتملت الجملة على خصوصية تقديم الأهم، وإيجاز الحذف، فاستوفت تمام مقتضى الحال، فبلغت حد الإعجاز.[2]

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت (أعطيت) ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: **(أكل ولدك نحلته مثل هذا؟)** فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **(فأرجعه)**، وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: **(أفعلت هذا بولدك كلهم؟)** قال: لا، قال ﷺ: **(اتقوا الله واعدلوا في أولادكم)**، فرجع أبي فرد تلك الصدقة، وفي رواية فقال ﷺ: **(يا بشير ألك ولد سوى هذا؟)** قال: نعم، قال ﷺ: **(أكلهم وهبت له مثل هذا؟)** قال: لا، قال ﷺ: **(فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور)**، وفي رواية **(لا تشهدني على جور)**.[3][4]

الفوائد المستقاة من الحديث:

قال ابن بطال: "إذا غُبن بعض الورثة، فلا يُعان المُورّث لا بشهادة ولا إمضاء، بل يؤمر

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، ج6، ص226، بتصرف يسير.

(2) التحرير والتنوير، ج20، ص105-106.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب لا يشهد على جور إذا أُشهد، تحقيق: محمد الناصر، ج3، ص171، رقم الحديث 2605.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الهبات / باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، تحقيق: محمد عبدالباقي، ج3، ص1241، رقم الحديث 1623.

بمراجعة الميراث، وأن تفضيل بعض الأولاد على إخوتهم في الميراث جور وظلم".[1]

وقال النووي: "في الحديث جواز عود الوالد في الهبة للولد".[2]

وقال ابن حجر: "يُفهم من الحديث مشروعية استفصال المفتي عما يُحتمَل استفصاله لقوله **(ألك ولد سوى هذا)**، وكذلك الإشارة إلى سوء عاقبة الحرص".[3]

يُستفاد من الحديث أن قوله **(فإني لا أشهد على جور)** إنكار الشهادة على الظلم جاء من استشعار مراقبة الله تعالى، فالإعانة على الظلم ظلم بذاتها.

ونحن كمسلمين ارتضينا الدين الإسلامي، يجب أن نلتزم بما نص عليه القرآن الكريم والسنة، وعليه: ماذا تعني لنا مراقبة الله سراً وعلانية؟ وكيف نعتقد أن الله مراقب لنا؟ إن ميزان المسلم هو أن الفعل مقابل الأجر أو لعقوبة، فحري بالمسلم أن يتعبد الله بالمراقبة، وهي قمة الإيمان، لأن الله يستحق ذلك.

وكنموذج على مراقبة العبد للعبد اقتصر البحث على قصة النملة وتجربتها الرائدة، ولندع الكلام لخالق الكون في آيات بينات، ليبين للناس جميعاً إلى أي مقام وصلت مراقبة هذه النملة، حيث يقول تعالى: [**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**] {النمل:18}.

يقول الشوكاني: "إن هذه النملة ولت هاربة ومحذرة جموع أخواتها النمال بلغة أولي الألباب أن عليهم سرعة التوجه إلى البيوت خشية الهلاك من موكب سليمان – عليه السلام – وجيشه العظيم"،[4] فإذا كانت النملة تملك هذه العاطفة على أخواتها وقومها، فما بال البشر؟ وعلى اجتهاد هذه النملة قس كل من يمتلك أمانة أو مسئولية.

إن المعيار القائم بين الناس على أمرين: القوة، أو المصلحة، أو هما معاً، أما عند الله – تعالى – فإن المعيار يختلف، وجاءت الآيات ناطقة صريحة في قوله تعالى: [**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**] {الحجرات:13}.

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ج8، ص28.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج11، ص67.

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج5، ص216.

(4) فتح القدير، الشوكاني، ج5، ص240–241.

الفصل الثالث

سمات المراقبة وثمراتها ونماذج عنها وعقوبات تركها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: سمات المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: العلم مع الخشية.
- المطلب الثاني: استجابة القلب.
- المطلب الثالث: المداومة على الذكر.

المبحث الثاني: ثمرات المراقبة في الدنيا والآخرة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: ثمرات المراقبة في الدنيا.
- المطلب الثاني: ثمرات المراقبة في الآخرة.

المبحث الثالث: نماذج من أحوال أهل المراقبة

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مراقبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- المطلب الثاني: مراقبة النبي ﷺ وصحابته الميامين – رضي الله عنهم.
- المطلب الثالث: مراقبة الصالحين.

المبحث الرابع: عقوبات ترك المراقبة

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: عقوبة قوم لوط – عليه السلام.
- المطلب الثاني: عقوبة فرعون وجنده.
- المطلب الثالث: عقوبة أصحاب الأخدود.
- عقوبة قوم ثمود.

المبحث الأول
سمات المراقبة

العلم والخشية سلاحان متلازمان للمسلم يتقرب بهما لمولاه جل وعلا، فهما في قلب المؤمن متحدان ومتوازيان لا ينفصلان، ولا يتخلى واحد منهما عن الآخر، ومن سار بهما سلك طريق النجاة في الدنيا وطريق السعادة السرمدية في الآخرة.

المطلب الأول
العلم مع الخَشية

ذكر القرآن الكريم مجموعة من الآيات تتحدث عن الصلة بين العلم والخشية، منها:

- قوله تعالى: **[وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ]** {فاطر:28}.
- **[أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ]** {الزُّمر:9}.
- **[إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ]** {المائدة:44}.

إن الخشية تكون على قدر العلم، فإذا تم علم الإنسان فإنه لا يرى لنفسه عملاً، بل يرى إنعام الموفق سبحانه وتعالى لذلك العمل، ويجمل بالعاقل ألا يرى لنفسه عملاً، أو يعجب به.

ويوجد صلة وثيقة بين العلم والخشية، وهذا يدعونا إلى التعرف على العلم والخشية في اللغة

والاصطلاح.

العلم لغة واصطلاحاً:

العلم هو المعرفة، وهو نقيض الجهل.[1]

الخشية لغة واصطلاحاً:

جاء في المعجم الوسيط: "(خشي) خشية: خاف بتعظيم ومهابة".[2]

وجاء في التعريفات: "تألُّم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، وخشية المرسلين من هذا النوع".[3]

وقال في المختار: "خ ش ي (خشي) بالكسر (خشية) أي خاف".[4]

قال الراغب: "الخشية خوف يشوبه تعظيم".[5]

يقول سليم الهلالي: "إن الإنسان الذي لا يتصل قلبه بالله – جل وعلا – خالق هذا الكون، لن يشعر بسننه التي ليس لها تبديل ولا تحويل، ويبقى ذا الإنسان ينظر كأنما لا يرى، فلا يدرك الحكمة من هذا الوجود".[6]

الرأي الراجح: أن معنى الخشية هو: إظهار الهيبة لله تعالى في السر والعلن، وترجمة هذه الهيبة والقداسة في السلوك والعبادة.

وقد اقتصر البحث على قوله تعالى: [**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ**

---

(1) ص 30 من البحث.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، ص245.

(3) كتاب التعريفات، الجرجاني، تحقيق: نصرالدين تونسي، ص166.

(4) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: لجنة من علماء العربية، ص176.

(5) مفردات القرآن، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص283.

(6) منهج الأنبياء في تزكية النفوس، الهلالي، ص101.

إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] {فاطر:28}.

اللمسات البيانية للآية الكريمة:

طوت الآية الكريمة بين ثناياها لمسات بيانية عظيمة، فقد حصرت الخشية في أهل العلم، كأن الآية الكريمة تقول: إن الذين يخشون الله من العباد هم فقط العلماء، أما إذا قُدّم الفاعل وهو العلماء، فإن المعنى الجوهري للآية يختلف إلى أنهم العلماء لا يخشون الله تعالى، وهما معنيان متباينان كما يبدو للمتمعن في النص.[1]

إن العلم يكون بشرف المعلوم، وأن المعلوم بكل فروعها طالما تتبع نهج الفكر المستنير الذي يخدم الإنسانية، فكلها مطلوبة، وأن الخشية مع العلم يكونان كجناحي الطائر، لا يتخلى واحد عن الآخر.

ولهذا يجب على المسلم ألا يغتر بعلمه، ولا بكثرة عبادته، بل ينبغي على العابد التذلل لله تعالى بطلب التوفيق في دينه ودنياه، وألا يحسب على الله تعالى صلاة أو صيام أو غير ذلك من العبادات والطاعات، فإن المؤمن لا يشبع من خير حتى يكون منتهاه الجنة، وهذا دأب الصالحين وديدن القانتين الأوابين.

(1) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج8، ص152.

المطلب الثاني
استجابة القلـب

تطرق البحث فيما سبق إلى سمة العلم مع الخشية، وهي من سمات المراقبة، وفي هذا المطلب اقتصر الحديث عن استجابة القلب لهذه المراقبة، وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي تدلل على ذلك، واكتفى البحث بمجموعة منها على النحو التالي:

- **[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ]** {ق:37}.
- **[أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ]** {الحديد:16}.
- **[اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]** {الزُّمر:23}.

إن القلب المؤمن هو الذي يستجيب لأوامر الله تعالى، فهو الذي يخشى ويتقي، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: **[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ]** {ق:37}، يقول ابن حيان: "إن في هلاك القرون الأولى موعظة لمن له قلب يعي ويتذكر أو أصغى سمعه مفكراً حاضر الذهن".[1]

أوجه استجابة القلوب:

إن المتأمل في حياة الصحابة – رضي الله عنهم – يجد الترجمة العملية في استجابة قلوبهم، حيث كان الالتزام الكامل في السلوك والقول والعمل، ويمكن استخلاص أهم ما تميزوا به، وأوصلهم إلى هذه الاستجابة بما يلي:

أ- **تعظيم الأمر الإلهي:** لقد تخلل أمر الله تعالى في قلوبهم، وظهر جلياً على جوارحهم ومعتقداتهم، لما نزلت: **[لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ]** {آل عمران:92}، قام الصحابي الجليل أبو طلحة، فوهب بستانه (بيرحاء)، وكانت أحب بساتينه إليه، فقسّم النبي

(1) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ج9، ص541.

ﷺ هذا البستان في أهل أبو طلحة وأقاربه،[1] هكذا فهم سلفنا الصالح القرآن، وعاشوه تعظيماً وسلوكاً على أرض الواقع.

ب- **وحدة المصدر:** كان القرآن الكريم هو النبع الصافي للصحابة – رضي الله عنهم – يوجه السلوك، ويضبط النهج، ويصحح المفاهيم، ولهذا نتفهم غضب النبي ﷺ لما وجد في يد عمر – رضي الله عنه – كتاباً اصابه من بعض أهل الكتاب، فقال ﷺ: **(أمتهوكون[2] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)**، لذلك يجب على المسلم أن يعلم أن القرآن هو المصدر الذي ينطلق منه في بناء تصوراته.[3]

ج- **تطبيق العلم:** وهذا من أجلّ وأشرف ما تميز به خير القرون، وهو ممارسة العلم الشرعي على أرض الواقع، فإذا كان العلم نوراً، فلا شك أن روح هذع النور هو العمل، والعلم وسيلة لا يُثمر فضله حتى يصدّق بمقتضاه.

د- **قيود الدنيا لا تمنع الاستجابة:** إن المتأمل في قوله تعالى: **[وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ]** {التوبة:92}، يجد حقاً أن هذا الجيل الرائع المتمثل في صحابة النبي ﷺ كانوا من المبادرين إلى تحمل الواجبات، يدفعهم العطاء غير المتناهي للتضحية، فهم لا يرون إلا ما عليهم، يقبلون على التكاليف بوازع الاحتساب والإيمان.

تصنيف الناس أمام الاستجابة لأمر الله تعالى:

ينقسم الناس في الاستجابة لأمر الله تعالى إلى قسمين:

الصنف الأول المستجيب:

وهذا الصنف من الناس جزاؤه الجنة، فإن لاستجابة قلب المؤمن لأمر الله آثار واضحة في الدنيا والآخرة:

أ – في الدنيا:

تمنح استجابة قلب المؤمن لأمر الله تعالى الراحة النفسية في القلب، قال تعالى: **[لِلَّذِينَ**

---

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج3، ص212.

(2) متهوكون: أي متحيرون، يُنظَر: غريب الحديث، ابن سلام، ج3، ص29.

(3) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، ج6، ص38، رقم الحديث 1589.

اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى] {الرعد:18}، فإذا علم المسلم أن له الجزاء الحسن في الدار الآخرة، قام بأداء الواجبات، واجتنب النواهي بقلب منشرح مطمئن، وصبر قلبه على الابتلاء دون جزع، وهذا ما نلمسه في الحديث الشريف: **(عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)**.[1]

تحقيق وتنفيذ ما أمر به الحق سبحانه وتعالى، وهذا يتضح من قوله سبحانه وتعالى: **[وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ]** {الشُّورى:38}.

يقول ابن كثير: "هم الذين اتبعوا رسل الله فأطاعوا أمره واجتنبوا نهيه فأقاموا أعظم العبادات، وهي الصلاة، كما لا يبرمون أمراً إلا بالمشورة بينهم، ثم هم ينفقون ويحسنون إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب".[2]

الحكم الإلهي بأن أهل الاستجابة لأمر الله تعالى هم أهل السمع، وغيرهم أموات، قال تعالى: **[إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]** {الأنعام:36}.

قال الرازي: "إن الذي يستجيب هو من يسمع من أهل الإيمان، أما أهل الكفر المصرين على كفرهم فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالأموات".[3]

ب- في الآخرة:

إن أهل الاستجابة لأوامر الله تعالى هم أهل الخلود في الجنان، ومن أعظم مكاسبهم:

- رضا الله تعالى: قال تعالى: **[لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا]** {الفتح:18}.
- يقول أكرم العمري: "أثنى رسول الله ﷺ على من بايعه تحت الشجرة فقال: **(أنتم خير أهل**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج4، ص2295، رقم الحديث 2999.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، ج2، ص280.

(3) مفاتيح الغيب: الرازي، ج12، ص522.

الأرض)".[1][2]

الصنف الثاني غير المستجيب:

وهذا الصنف من الناس هو الهالك والخاسر في الدنيا والآخرة، ولهذه الخسارة علامات في الدنيا والآخر على النحو التالي:

أ – في الدنيا:

اتباع الأهواء والانصياع للعقول والمنحرفة والأمزجة المريضة، قال تعالى: **[فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ]** {القصص:50}.

يقول السمرقندي: "إن لم يتبعوا أمرك فاعلم أنهم يؤثرون أهواءهم على الدين".[3]

وهذا يبين أن الطريق إلى الله واضح، فإما الاستجابة وإما الخذلان والنكوص.

الحياة المؤلمة: قال تعالى: **[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى]** {طه:124-126}.

إن الإعراض الكامل عن طاعة الله يورث النكد والهم، لأن مفتاح السعادة يكمن في طاعة الله تعالى، والاستجابة لأمره، وقد جاء في تفسير الآية أعلاه:

يقول الثعالبي: "إن الضنك هو النكد الشاق من العيش والمنازل".[4]

ب– في الآخرة:

إن للذين لم يستجيبوا لأوامر الله تعالى مهالك وأخطار تنتظرهم يوم القيامة، حيث قال تعالى: **[وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ**

---

(1) السيرة النبوية، العمري، ج2، ص440.

(2) يُنظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب غزوة الحديبية، تحقيق: محمد الناصر، ج5، ص123، رقم الحديث 4154.

(3) بحر العلوم، السمرقندي، ج2، ص612.

(4) تفسير الثعالبي، الثعالبي، تحقيق: علي وعبدالموجود، ج4، ص72.

لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ] {الرعد:18}.

أظهرت الآية الكريمة علامات لخسارة أولئك الصنف من البشر، وهي: سوء الحساب، والمأوى جهنم.

يقول ابن عطية: "إن سوء الحساب هو التقصي على المحاسَب، والمأوى هو السكن".[1]

العمى يوم القيامة: قال تعالى: **[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى]** {طه:124}، وهنا يتساءل أهل الإعراض عن الاستجابة لأمره تعالى: **[قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا]** {طه:125}، فتأتي الإجابة **[قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى]** {طه:126}، لذلك من تعمد الإعراض وعدم الاستجابة، فهو أعمى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **[وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا]** {الإسراء:72}.

إن حياة القلوب تكون باستجابة القلوب لأمر الله، وعلى قدر هذه الاستجابة تكون الحياة، وهذا المعنى ينسجم تماماً مع المراقبة كمنزلة إيمانية، فهو قطب رحاها، والنور الموصل إليها.

(1) تفسير ابن عطية، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، ج3، ص308.

المطلب الثالث

المداومة على الذكر

ذكر البحث سمتين من سمات المراقبة هما: العلم مع الخشية، واستجابة القلب، وامتداداً لهذه السمات تأتي سمة المداومة على ذكر الله تعالى، والذي هو قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الروح، تصفو به الدنيا وتطيب به الآخرة، وهذا يدعونا إلى التعرف على الذكر لغة واصطلاحاً.

الذكر لغة:

قال الراغب: "الذكر تارة يقال، ومعناه: هيئة للنفس بها يمكن للإنسان حفظ ما يملكه من المعرفة، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشئ القلب أو القول".[1]

قال الرازي: "الذكر ضد النسيان".[2]

وجاء في المعجم الوسيط: "ذَكَرَ الشئ حَفِظَه، واستحضره، وجرى على لسانه".[3]

الذكر اصطلاحاً:

قال الكفوي: "الذكر التلفظ بالشئ، وإحضاره في الذهن".[4]

وقال ابن عاشور: "الذكر هو تذكر الله تعالى عند الإقدام على الأفعال لتذكر أوامره

---

(1) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داوودي، ج1، ص328.

(2) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف محمد، ص112.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، ص313.

(4) الكليات، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص456.

ونواهيه".[1]

وجاء في الموسوعة الفقهية: "الذكر بمعنى القول، أو الحكاية".[2]

يتضح مما سبق أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث يتضح ان الذكر هو الحضور الذهني عند النطق بالشئ، ونعني به في هذه الدراسة هو ذكر الله تعالى واستحضار عظمته في القلب.

توجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الذكر، منها:

- قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا]** {الأحزاب:41-42}.
- وقوله تعالى: **[فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ]** {البقرة:152}.
- وقوله تعالى: **[الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]** {آل عمران:191}.

وقد ذكر الشوكاني في تفسير الآية الأخيرة: "وصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول الصحيحة بأنهم يذكرون الله تعالى في حال الصلاة وغيرها، وأنهم يتفكرون في بديع صنع السماوات والأرض، فهذا الفكر الصادق يوصلهم إلى الإيمان بالله تعالى".[3]

وقال ابن عاشور: "إن أصحاب الفهوم الكاملة هم الذين يذكرون الله تعالى إما باللسان أو بالقلب، أي تفكراً، وهذا الذكر يكون في جميع الأحوال المتعارف عليها عند الناس في حال السلامة، وهذا التفكر في الخلق، أي كيفية أثر الخلق، نمى إيمانهم فألهمهم الله هذا الدعاء: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار".[4]

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الذكر ورد في القرآن الكريم مائتين واثنتين وتسعين مرة، في مائتين وتسع وستين آية، منها مائة واثنتان وتسعون آية مكية، وسبع وسبعون آية مدنية،

---

(1) التحرير والتنوير، ج2، ص50.

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، ج21، ص262.

(3) فتح القدير، ج1، ص471.

(4) التحرير والتنوير، ج4، ص197.

وردت هذه الآيات في إحدى وسبعين سورة، منها ثلاث وخمسون مكية، وثماني عشرة مدنية.[1]

يفهم مما سبق أن هناك فائدة من تنزل الآيات المكية أكثر من المدنية على النحو التالي:

- الذكر في القرآن المكي يناقش العقيدة والتوحيد، ويحرك المشاعر حول الخلق والكون، بل والإعجاز في الخلق.
- أما المدني فهو إقرار لما أُنزل من آيات باهرة توضح أن الإنسان لم يخلق عبثاً بل لحكمة بالغة.

وجاء الذكر في أحاديث كثيرة للنبي ﷺ منها ما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن جويرية – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: **(مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته).**[2]

قال ابن تيمية: "فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان".[3]

وقال القسطلاني: "أظهر في القرينة الأولى بالعدد، وفي الثانية بالزنة، والمتأمل يرى أنه ترك الثانية والرابعة ليُعلِم أنهما لا يدخلان في جنس الموزون والمعدود، كما لا يطالهما الحصر، لا في الحقيقة ولا المجاز، حينئذ يحصل الترقي من عدد الخلق إلى رضا الحق، ومن زنة العرش إلى مداد الكلمات".[4]

لما كانت أعمار الأمة الإسلامية قصيرة، فقد ظهرت رحمة الله تعالى جلية واضحة في جوامع الذكر، لسهولة أدائها، وعظمة أجورها، ينبغي على أبناء الأمة شغل أوقات الفراغ بمثل هذه الأذكار، وذلك طمعاً في هذه الأجور، وبالتالي الارتقاء إلى أعلى الدرجات في فسيح الجنات.

---

(1) الذكر والذاكرون، رسالة ماجستير، ايام عبدالناصر خلة، ص20.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب التسبيح أول النهار وعند النوم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج4، ص2091، رقم الحديث 79.

(3) الرسالة العرشية، ابن تيمية، ص10.

(4) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج10، ص487.

المبحث الثاني
ثمرات المراقبة في الدنيا والآخرة

المطلب الأول
ثمرات المراقبة في الدنيا

إن للمراقبة في الدنيا ثمرات عديدة ذكر البحث أهمها، وهي: الارتقاء بالعبادة، والاستقامة، وتحقيق الأمانة، وتحقيق المجتمع المراقِب، وفيما يلي تفصيل لهذه الثمرات:

أولاً – الارتقاء بالعبادة:

حث القرآن الكريم على العبادة في آيات كثيرة، منها:

- **[وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ]** {الحجر:99}.
- **[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ]** {النحل:36}.
- **[قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ المُسْلِمِينَ]** {الأحقاف:15}.

يقول سيد قطب: "يعرض القرآن نموذجاً مشرقاً للفطرة الإنسانية إزاء قضية العقيدة، هذا النموذج المستشعر بين طيات ذاته نعمة الله عليه، وحيث يتهيأ للتفكر في هذه الحياة وإلى ما بعدها، وهي إحدى خصال الفطرة السليمة، فعند بلوغ المسلم سن الثلاثين إلى الأربعين، يجمل به أن يستصغر جهده في شكر آلاء الله، ويستعظم النعم التي تغمره، وهنا تتوجه بوصلة القلب بالكلية إلى المنعم، فيبتهل في صدق أن يلهمه الله القيام بواجب الشكر، فيفرّغ جلّ طاقته واهتمامه للنهوض بشكر هذه النعم، ويطلب العون للتوفيق لأداء الأعمال الصالحة، ويؤنس قلبه أن تكون هذه الأعمال في عقبه من بعده، ويتوج هذه المشاعر النبيلة بالتوبة الصادقة والإعلان صراحة

عن توبته وصدق إسلامه".[1]

وقد اقتصر البحث على حديث في صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)**.[2]

جاء في شرح الحديث: "أن للإيمان لذة في الفؤاد، وحلاوة في الروح لا تساويها أي حلاوة في هذا الكون، ولكن لا يستشعر هذه اللذة إلا من توافرت فيه سمات ثلاث:

السمة الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أي أن يسيطر الحب الرباني على ذاته بحيث يتغلب هذا الحب على كل محبوبات الدنيا ومألوفاتها كالوالدين، والأبناء، والمال، تلكم هي حقيقة الإيمان، فإذا وصلها العبد ارتقى بطاعته إلى مرحلة الكمال، وفي هذا السياق قال ابن قدامة: من أحب الله لا يعصيه، والمقصود أن الحب الإلهي التام يمنع المعصية.

السمة الثانية: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، إذ يوضح الحديث أن الحب في الله يكون خالصاً، حيث يحب المسلم أخاه لصفة دينية، أو استفادة شرعية، كالسلوك القويم، أو الصلاح، أو العلم النافع.

السمة الثالثة: أن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار، أي يمتزج الإيمان بشغاف القلب، فيكره العودة إلى الكفر بعد هدايته للإسلام، كما يكره التردي إلى النار".[3]

يتضح مما سبق أن الإيمان إذا تغلغل في القلوب، انعكس ذلك على طاعة العبد فتزيد بالتدريج، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ففي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺكان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص3263.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، تحقيق: محمد زهير الناصر، ج1، ص12، رقم الحديث 16.

(3) منار القاري، شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، ج1، ص94، (بتصرف وإيجاز).

غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **(أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)**.[1]

الدروس المستفادة من الحديث:

- اطمئنان النفس وانشراح الصدر إلى الطاعة تمثل حقيقة حلاوة الإيمان.
- التلذذ بالطاعة، ومجاهدة النفس في سبيل نيل رضا الله تعالى، وتقديم محابه، واتقاء مساخطه، هو عين حلاوة الإيمان.
- إرساء قواعد الحياة على هدي النبي ﷺ، وتطبيق سنته، هو روح معنى حبه ﷺ.
- للإيمان طعم الحلاوة أكده عظيم الروم هرقل في قوله: الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، إذ إن أصل البشاشة: الإقبال واللطافة، ومعناه: سرور قلب المؤمن وفرحه به.[2]

كيف نرتقي بالعبادة؟

إن الارتقاء بالعبادة يكون بالتدرج، وعلى مراحل، وقد اقتصر البحث على حديث يوضح هذا التدرج والترقي في العبادة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)**.[3]

الدروس المستفادة من الحديث:

المرتبة الأولى من قام بعشر آيات، قال القاري: معناه من تلا عشر آيات متأنياً متدبراً، وقال الطيبي: تلقاها بالعزيمة والجد، وقال ابن حجر: تلاوتها في ركعتين خلاف الفاتحة، والأوضح: أنها أدنى مراتب الصلاة، وتكون بقراءة الفاتحة وثلاث آيات بعدها، فتكون عشر آيات، قلت: ويكون بقراءة الكوثر.

المرتبة الثانية من قام بمائة آية كتب من القانتين: معنى القنوت القيام، وقال الطيبي:

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، تحقيق: محمد زهير الناصر، ج6، ص135، رقم الحديث 4837.

(2) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ج1، ص53.

(3) صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج2، ص1099، قال الألباني: صحيح.

من الذين أطاعوا وقاموا بأوامر الله، والمعلوم أن قراءة القرآن في كل الأوقات مندوب ومحبوب، لكن أفضل أوقات قراءة القرآن في صلاة القيام، قال تعالى: [**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**] {المزمل:6}.

ومفهوم كلام الطيبي أن سياق الحديث مطلق ليس مقيداً لا بصلاة ولا بليل، فينبغي أن يفسر على أدنى المراتب، والدليل على ذلك جزء الشرطية الأولى **(لم يكن من الغافلين)**، وقد أورده البغوي في الإثم، وأما قول ابن حجر: فتفسيري (قام يصلي) في السياق أنه المواطئ للسياق الشرعي، وهو مردود بأنه لا يعرف في الشرع تفسير (قام يصلي)، والخلاصة: يجوز القراءة في الليل دون صلاة، ولكن بالصلاة مزيد فضيلة، والله أعلم.[1]

قلت: وقراءة مائة آية تكون بقراءة سورة عم (أربعون آية)، وسورة النازعات (ست وأربعون آية)، وسورة الإخلاص والمعوذتين (خمس عشرة آية).

المرتبة الثالثة من قام بألف آية كتب من المقنطرين: قال المباركفوري: معنى المقنطرين المكثرين، قال المنذري: من سورة تبارك إلى الناس ألف آية، قال الطيبي: من قام بهذا العمل حصل له من الأجر كمن حصل على قناطير الأموال، وقال أبو عبيد: العرب لا تدري ما هو وزن القنطار، وروي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعاً: القنطار اثنا عشر ألف أوقية، والأوقية خير مما بين السماء والأرض.[2]

يتضح مما سبق أهمية التدرج في العبادة بداية من الأدنى، وصولاً إلى الكمال، وإن مما يقال في حق صلاة القيام ينسحب على باقي العبادات.

تحدث البحث عن الثمرة الأولى للمراقبة في لينتقل إلى الحديث عن الثمرة الثانية وهي الخوف مع الرجاء، فينبغي التعريف لكل منهما لغة واصطلاحاً.

الخوف مع الرجاء:

هما طوق نجاة المحبين، جناحا الفوز عند المنيبين، وبرهان ثبات الصادقين، وسبيل

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ج3، ص910.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، ج4، ص144.

الوصول إلى جنة العالمين، وهذا يدعونا إلى التعرف على معاني الخوف في اللغة والاصطلاح.

أولاً – الخوف:

الخوف لغة:

قال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء، أصل واحد بمعنى: الفزع والذعر".[1]

وقال الراغب: "الخوف ضد الأمن، وهو توقع المكاره".[2]

الخوف اصطلاحاً:

قال الكفوي: "الخوف يأتي على عدة معانٍ حسب السياق، فمنه القتل، وذلك في قوله تعالى: **[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]** {البقرة:155}، ويأتي بمعنى التوقع والعلم، وذلك كما في قوله تعالى: **[فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا]** {البقرة:182}".[3]

قال ابن القيم: "الخوف هو اضطراب يحدث في القلب بسبب ذكر المخوف".[4]

والسؤال هنا: ما هي أخوف آية، وأرجى آية في القرآن؟

أخوف آية هي قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]** {آل عمران:130-131}.

قال ابو حنيفة: "هذه أخوف آية، لأن الله – جلت قدرته – توعد المؤمنين بالنار المهيأة للمشركين، إن لم يجتنبوا معاصيه".[5]

أما أرجى آية في القرآن فهي قوله تعالى: **[قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ]** {الزُّمر:53}.

قال السمرقندي: "في الآية الكريمة نداء للعباد الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي، لا تيأسوا من المغفرة، وطلب الرحمة، فإن الله – جلت قدرته – رحيم يغفر الموبقات، لمن اقبل تائباً يرجو

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص230..

(2) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ص303.

(3) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ص673.

(4) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج1، ص508.

(5) الجو المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ج3، ص341.

رحمة الله، قال الصحابي عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –: هذه أرجى آية في الذكر الحكيم".[1]

سمات الخوف:

لا شك أن للخوف علائم بائنة، تكشف عن مكنونات الصدور، نجملها في سمتين هما: البكاء، والحزن.[2]

أ- البكـاء:

يُعد البكاء سمة إنسانية يعرفها الجميع، وعلى المسلم أن يتفاعل مع آيات القرآن الكريم، فتهتز له جوانحه تأثراً بما يسمع من أهوال الجحيم، وشدائد يوم القيامة، وقد حث كالقرآن الكريم على هذا اللون من البكاء في قوله تعالى: **أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ]** {النَّجم:59-60}.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: فإني أحب أن اسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت [**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**] {النساء:41}، قال: امسكت، فإذا عيناه تذرفان.[3]

قال ابن بطال: "بكاؤه ﷺ دلالة واضحة على عظيم معنى الوعظ، حيث استحضر هول المحشر، ووقوف الناس في ساحات القيامة، وشفاعته لهم لإراحتهم من طول الوقوف، وهو أمر يستحق البكاء.[4]

ب- الحـزن:

الحزن نوعان في شرعنا، منه ما هو مذموم ومنه ما هو غير ذلك، قال تعالى: [**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**] {آل

---

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج3، ص191.

(2) الخوف والرجاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، سهاد دولة، ص67.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب فكيف إذا جئنا، تحقيق: محمد الناصر، ج6، ص45، رقم الحديث 4582.

(4) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ج10، ص278.

عمران:137-139}.

المعنى الإجمالي:

يقول الشوكاني: "الخطاب في الآية لأهل الإيمان، حيث يقول جل شأنه: (سيروا فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الذين خالفوا رسله بحرصهم الشديد على الدنيا، ثم انقرضوا وانتهت آثارهم، والمقصود من هذا السير المأمور به هو حصول المعرفة، فإن حصلت بدونه حصل المقصود، وفي هذا حثٌ على النظر في سوء عاقبة المكذبين، والبيان عام لجميع الناس، أما الهُدى والموعظة فللمتقين وحدهم، وقوله: (ولا تهنوا ولا تحزنوا ...) فيه التعزية والتسلية بما نال المسلمين يوم أحد من القتل والجراح، وحثهم على قتال عدوهم، ونهيهم عن العجز والفشل، ثم أوضح النص القرآني أنهم الأعلون على عدوهم بالنصر بعد هذه الوقعة، وقد صدق الله وعده فإن النبي ﷺ ظفر بعدوه في جميع المعارك بعد أحد".[1]

ما يستنبط من النص:

- عدم الجزع عند المصيبة، والثبات على الدين، وتفويض الأمر لله تعالى.
- المؤمنون أشد الناس بلاءً.
- إن تمييز الصفوف وتمحيص النفوس سنة إلهية جارية إلى يوم القيامة.

وفي الحديث عن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي ﷺ يقول **(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن والعجز والكسل والجبن والبخل ...)** الحديث[2]، لكن الحزن يكون بسبب أمرين: الأول تذكر المعاصي، والثاني: تذكر الموت.

الأول – تذكر المعاصي:

المعاصي هي أكثر ما يخيف المسلم في حياته، لأنه يعلم علم اليقين أنه مسئول ومحاسب عليها، قال تعالى: [**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**] {النحل:111}.

قال ابن عطية: "الآية الكريمة تبين أن كل النفوس مؤمنة وكافرة تخاصم عن نفسها، فإذا

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، ج2، ص253.

(2) يُنظَر: الأدب المفرد، البخاري، كتاب الأذكار / باب دعوات النبي ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، ص234، رقم الحديث 671، قال الألباني: صحيح.

جادل المشركون حينئذ تشهد عليهم الرسل والجوارح ...".[1]

قال المغامسي: "هذه الآية من أعظم المواعظ، حيث لا يستطيع الإنسان أن يوجه ماله أو جاهه إلى أحد من الخلق بسبب شدة الخوف على نفسه، وما جنته يداه من الذنوب".[2]

يتضح مما سبق أن هذا الحزن يكون باعثاً على النشاط في العبادة، ومحفزاً لزيادة الطاعة حتى يفرج الله الكرب.

الثاني – تذكر الموت:

الموت سنة ربانية في الخلق، قال تعالى: [**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**] {النساء:78}.

يقول الطبري: **"لا تهربوا من القتال خوفاً وحذراً من الموت، فإن الموت لا محالة آتيكم، حتى لو اختبأتم وتحصنتم داخل القصور المنيعة".**[3]

من أسرار الآية:

- لفظة (أينما) اسم مبهم من أسماء الأماكن ينطبق على الجهات الست.[4]
- في قوله (ولو كنتم) سر بديع، فهي بمعنى إنّ، أي: وإن كنتم، والجواب في هذا السياق محذوف تقديره: لأدرككم.
- في قوله (في بروج مشيدة) أي لو كان هذا حالكم، في هذه البروج، فيُفهم أن الموت سيصلكم في غير القصور السامقة بصورة أولى.[5]

وفي الحديث عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)**، وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية. تحقيق عبدالسلام محمد، ج3، ص426.

(2) تأملات قرآنية، المغامسي، دروس صوتية على الشبكة العنكبوتية، الموقع Islamweb.net، الدرس رقم 27.

(3) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج8، ص553.

(4) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج2، ص270.

(5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، ج4، ص44–45.

الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.[1]

قال ابن "حجر: شبّه النبي ﷺ العابد برجل غريب ليس له سكن، ثم أضرب عنه وارتقى إلى عابر سبيل، فالغريب قد يسكن في بلاد الغربة، أما عابر السبيل فلا يقيم أبداً، بل يقطع المسافات للوصول إلى غرضه".[2]

يتضح مما سبق:

- من أعظم فوائد الحديث حث النفس على العمل الصالح، والتزود به للحياة السرمدية.
- العمر مهما طال فمصير الإنسان إلى الموت.

الرجاء لغـة:

قال الراغب: "الرجاء هو الظن بحدوث ما فيه فرح وسعادة،[3] وقال ابن سيده: الرجاء الطمع".[4]

الرجاء اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الرجاء تمسك الفؤاد بحصول المحبوب مستقبلاً،[5] وقال العسكري: الرجاء يكون بين الأمل والطمع".[6]

وقد ذكر القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الرجاء، منها:

- قوله تعالى: [**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**] {الكهف:110}.
- وقوله تعالى: [**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآَخِرَ**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق / باب قول النبي ﷺ: **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**، تحقيق: محمد الناصر، ج8، ص89، رقم الحديث 6416.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج11، ص234.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج10، ص346.

(4) المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل جفال، ج1، ص282.

(5) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، ص146.

(6) معجم الفروق اللغوية، العسكري، تحقيق: بيت الله بيات، ج1، ص49.

وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] {الأحزاب:21}.

- وقوله تعالى: **[مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]** {العنكبوت:5}.

وقد قال البقاعي في تفسير الآية الأخيرة: "صرحت الآية بشوق المؤمنين الصادقين إلى لقاء ربهم الكامل في صفاته، وقد شبه النشور باللقاء لحضور الجزاء، وتكشّف الغيب، ولما كان كثيراً من البشر قد جحدوا البعث، أكد – سبحانه وتعالى – هذا البعث في قوله: **لآت**، أي لا نحيد عنه تعظيماً وتهويلاً له، فإنه محال على الله أن يخلف وعده، فاستعمل الاسم الأعظم في قوله **أجل الله**، وفيه إشارة إلى الأحداث الجسام في هذا اللقاء، فليجهز نفسه ويستعد بالنصح والمجاهدة، وختم الآية بفاصلة قرآنية تتناسب مع مطلعها، فهو وحده سبحانه السميع العليم، وهو أسلوب لتشجيع النفس وحثها على طهارة الظاهر والباطن في القول والعمل".[1]

وقال سيد قطب: "تتحدث الآية عن طمأنة أهل الإيمان الراجين لقاء ربهم – سبحانه وتعالى – وعن تلك الثقة واليقين في قلوبهم، لقد آن الأوان لأصحاب هذه القلوب الراجية أن تقر وتطمئن إلى وعد الله تعالى لها، فإنها تنتظر بكل شوق، وتتطلع بكل شغف إلى يوم اللقاء، وتعبر الآية بجسد إيقاع هذه القلوب في صورة المشتاق الراجي، ويختم الآية بالإجابة على هذا التشوق بالتأكيد الباعث على الراحة والسكينة لهذه القلوب في قوله: **وهو السميع العليم**".[2]

من لطائف الآية: قال الشوكاني: "في قوله **من كان يرجو لقاء ربه** عدة معان:

- يخاف الموت.
- الرجاء بمعنى الخوف.
- الرجاء بمعنى الطمع.
- الرجاء في ثواب الله يوم المصير إليه.
- الرجاء هو الأمل.

كأنه – سبحانه وتعالى – يقول: من كان طامعاً في لقاء الله فليعمل وليجد في العمل

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، تحقيق: عبدالرازق غالب، ج5، ص537.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص2722.

الصالح، والآية فيها من الترغيب والترهيب ما لا يخفى".[1]

سمات الرجاء:

للرجاء أمارات واضحة، تهفوا شوقاً من خلالها قلوب الراجين إلى لقاء ربهم، فهم يحبون ما يحب، ويبحثون عما يرضيه، ومن هذه الأمارات والسمات اقتصر البحث على سمتين هما: الصدقة، والإلحاح في الدعاء.

أ- الصدقة:

هي لغة المشتاقين إلى رب العالمين، وجسر العابرين إلى جنات النعيم، وهذا يدعونا إلى التعرف على الصدقة، لغة، واصطلحاً.

الصدقة لغة:

قال الراغب: "المال الذي يخرجه الإنسان على وجه القربة".[2]

وجاء في المعجم الوسيط: **"الصدقة المكرمة"**.[3]

الصدقة اصطلاحاً:

جاء في التعريفات الفقهية: "الصدقة هي الهبة والعطية".[4]

وجاء في أنيس الفقهاء: "الصدقة العطية".[5]

وقد حفل القرآن الكريم بآيات عديدة تتحدث عن الصدقة، منها ما ورد في سورة البقرة، حيث قال تعالى: [**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**] {البقرة:271}.

قال الثعلبي: "الآية الكريمة تأتي في سياق صدقة التطوع، وذلك لأن العلماء أجمعوا أن

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، ج5، ص354.

(2) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص480.

(3) المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص511.

(4) التعريفات الفقهية، البركتي، ج1، ص127.

(5) أنيس الفقهاء، القونوي، تحقيق: يحيى مراد، ج1، ص47.

الزكاة الواجبة الجهر بها أفضل كالصلاة المفروضة، وذلك لأمرين:

الأول: الاقتداء والتأسي، والثاني: حتى لا يساء الظن.

أما صدقة النافلة فالأفضل إخفاءها تحرزاً من الرياء".[1]

قال الرازي: "الآية فيها مسائل عدة، منها:

1- الصدقة دليل على صدق إيمان العبد المسلم.
2- لفظة (نعما) هي لغة الرسول ﷺ.
3- التقدير في قوله تعالى **(فنعما هي)**: نعم شيئاً هي إبداء الصدقة، فحّذف المضاف لدلالة الكلام عليه.
4- لفظة **(من)** في قوله **(من سيئاتكم)**: أفادت أن الذنوب لا تكفر كلها بل بعضها، والسر في ذلك بقاء العبد في حالة بين الخوف والرجاء".[2]

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث على الصدقة، منها ما ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصّدق على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصّدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها،**

---

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ج2، ص273.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج7، ص64-65.

وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله).[1]

ما يُستفاد من الحديث:

- "بيان ثواب صدقة السر، وفضل الإخلاص.
- الترغيب في تكرار الصدقة.
- التعجب في قوله **(تصدق على زانية)** أفاد أن الصدقة كانت خاصة للمحاويج دون غيرهم.
- قوله **(فأتي)** أفاد الرؤيا الصالحة.
- إذا كانت نية المتصدق صادقة تقبل صدقته".[2]

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: **(ما بقي منها؟ قالت: ما بقي إلا كتفها، قال: بقي كلها غير كتفها).**[3]

من فوائد الحديث:

- قوله (بقي كلها غير كتفها) فيه إشارة إلى قول الله تعالى [**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ**] {النحل:96}.[4]
- العاقل الراشد من انتهز الفرصة فيضع ما يزيد عن قوته للحياة السرمدية.[5]
- قوله (بقي كلها) معناه بقي أجرها في دار الخلود.
- قوله (إلا كتفها) معناه بقي في الدار الفانية.[6]

يُفهم من الحديث أن صاحب الجناب النبوي ﷺ أراد أن يلفت الأذهان والقلوب إلى ما ينفع

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة / باب إذا تُصدق على غني وهو لا يعلم، تحقيق: محمد الناصر، ج2، ص110.، رقم الحديث 1421.

(2) فتح الباري، ابن حجر، ج3، ص291.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ج4، ص644، قال الألباني: صحيح.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ج4، ص1346.

(5) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ج2، ص10.

(6) التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد الحسني، تحقيق: محمد حلاق، ج7، ص565.

المسلم في دار المعاش والمعاد.

ب- الإلحاح في الدعاء:

الدعاء هو درب المحبين، ونشيد الصادقين، وقرة عيون العارفين، من تمسك به اهتدى، ومن اعتصم به نجا، وهذا يدعونا إلى التعرف عليه، لغة واصطلاحاً.

الدعاء لغة:

قال الراغب: "الدعاء كالنداء، ويختلف أن النداء قد يقال بيا"،[1] وقال الفيروزأبادي: "الدعاء الرغبة إلى الله تعالى".[2]

الدعاء اصطلاحاً:

جاء في فتح الباري: "قال الطيبي: الدعاء هو إظهار غاية الافتقار والتذلل لله"،[3] وقال المناوى: "الدعاء لسان الافتقار بشرح الاضطرار".[4]

إن من سمات الرجاء الإلحاح في الدعاء، والله تعالى جوّاد كريم يحب أن يسأل، ومن آيات الدعاء اقتصر البحث على قوله تعالى: **[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]** {غافر:60}.

قال السمرقندي: "معنى الآية: وقال ربكم لأهل الإيمان ادعوني استجب دعاءكم، فإن الذين يستكبرون عن توحيدي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين".[5]

من روائع البلاغة في الآية:

1- المجاز: وذلك في قوله **[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]**، المجاز المرسل في الآية علاقته سببية، فالدعاء هو سبب العبادة.

2- المشاكلة في قوله **[أَسْتَجِبْ لَكُمْ]**، فالإثابة مترتبة على المشاكلة، وهي من باب التقريب

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان الداودي، ج1، ص315.

(2) القاموس المحيط، الفيروزأبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ج1، ص1282..

(3) فتح الباري، ابن حجر، تحقيق: ابن حجر، ج11، ص95.

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ج1، ص166.

(5) بحر العلوم، السمرقندي، ج3، ص211.

والتوضيح.

ما فائدة الدعاء إذا علمنا أن القضاء لا يرد؟

الجواب: أن من القضاء أن يرد البلاء بالدعاء، فكما أن الترس الذي يحتمي به المقاتل يدفع السهم، فكذلك البلاء والدعاء، وحقيقة الاعتراف لا تعني أبداً التخلي عن حمل السلاح.[1]

لقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الدعاء، منها ما ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: **(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يقبل دعاءً مِن قلبٍ غافلٍ لاه)**.[2]

قال العراقي: "ينبغي على المستغفر والتائب والطائع أن يجد في العمل ظاناً الظن الحسن بربه في قبول الدعاء".[3]

يجب على العبد استحضار الذهن والقلب ساعة الدعاء، ولعزم في طلب مسألته، ولا يستبطئ الإجابة، فإن الله جل جلاله يحب عبده الذي يلح في الدعاء، قال تعالى: [**وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ**] {الأعراف:56}.

ففي الدعاء لا واسطة بين المخلوق والخالق، فالاتصال مباشر غير منقطع، ولهذا فالإلحاح والجد في الدعاء مطلوب، ففي الحديث عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن ربكم حيّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا)**.[4]

والذي يتضح أن المقصود من الإلحاح في الدعاء هو التكرار وإعادة الطلب، ولعل في الحديث التالي ما يوضح هذا الأمر:

عن أبي مسعود – رضي الله عنه – قال: كان النبي ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سال

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج8، ص506–508.

(2) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ج2، ص403، حديث رقم 42. قال الترمذي: غريب حسن.

(3) طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، ج8، ص234.

(4) مشكاة المصابيح، التبريزي، تحقيق: الألباني، ج2، ص694.

ثلاثاً.[1]

قال النووي: "يستحب تكرار الدعاء ثلاثاً".[2]

وقال البخاري: "في حديث عائشة – رضي الله عنها – لما سُحر النبي ﷺ كرر الدعاء".[3]

وقال ابن القيم: "الإلحاح في الدعاء هو أنفع الأدوية".[4]

وقال أحمد بن حنبل: "عن قتادة، قال: مورق: مثل المؤمن كرجل متعلق بخشبة في البحر، فهو يدعو يا رب ... يا رب، لعل الله أن ينجيه".[5]

تنبيــه:

يتضح مما سبق أهمية الجمع بين الصدقة والدعاء، فإن الصدقة إذا تبعها الدعاء، فإن هذا الدعاء يكاد لا يرد، والسبب هو اتباع الطاعة بطاعة، فإن علامة قبول الطاعة الأولى هو قبول الثانية ... فتأمل.

خلاصة القول في الخوف والرجاء:

قال ابن عثيمين: "الأفضل للعبد أن يجمع بين منزلتي الخوف والرجاء في حال الصحة والقوة، أما في حال المرض فيكون في منزلة الرجاء".[6]

ثالثاً – الاستقامة:

هي قوام حياة المؤمن، والتعبير الأجلى عن إيمانه، بها تحيا قلوب السالكين، وبهديها تستنير عقول العارفين، والسر الدفين في مكنون قلوب المحبين، وهذا يتطلب التعرف على معنى الاستقامة

---

(1) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب الهجرة والمغازي / باب ما لقي النبي ﷺ من أذى قومه، تحقيق: الألباني، ج2، ص313.

(2) شرح النووي على مسلم، النووي، ج12، ص152.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الطب / باب السحر، تحقيق: محمد الناصر، ج7، ص136، حديث رقم 5763.

(4) الداء والدواء، ابن القيم، تحقيق: محمد الاصلاحي، ج1، ص13.

(5) الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق: يحيى سوسي، ج1، ص512.

(6) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج3، ص337.

في اللغة والاصطلاح.

الاستقامة لغة:

1- قال الأصفهاني: "أصل اللفظة مأخوذة من مادة (قوم)، وهي بمعنى اللزوم، والمقيم هو الثابت، نقول: أقام في المكان ثبت فيه".[1]

2- وقال الرازي: "قوّم الشئ تقويماً، فهو قويم، أي مستقيم".[2]

الاستقامة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الاستقامة هي الالتزام بكل العهود، ومراعاة الوسط في كل الجوانب، والاستقامة الجمع بين اجتناب المحرمات وأداء الطاعات".[3]

وقال الكفوي: "القيام لفظة تستعمل حسب السياق، وتختلف المفاهيم والمعاني باختلاف الصفات، لضمان كل معنى على حاله، فالقائم على الأمر المتكفل بحفظه ..".[4]

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتطرق إلى الاستقامة، منها قول الله تعالى: [**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**] {هود:112}.

يقول ابن عاشور: "في الآية الكريمة الحث الواضح على التمسك بتعاليم الدين على الوجه القويم، إذ إن الاستقامة هي تطبيق الشرع بلا انحراف، وهذا تنويه شديد الوضوح بعظم مكانة النبي ﷺ، حيث هو المتلقي للأوامر الإلهية ابتداءً، وليبني عليه قوله **(كما أُمرت)**".[5]

من روائع البلاغة في الآية الكريمة:

الإيجاز في لفظة **(فاستقم)** حيث الاستقامة هي المضي قدماً في طريق واحد دون الالتفات أو الانحراف يميناً أو شمالاً، ولما كان الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، كان أقل انحراف يخرجه عن الاستقامة، وعليه فقد جمعت لفظة الاستقامة في الآية شمول معاني الأخلاق، ولطائف الكمالات التي يتمناها المقربون، وإن التخلي عن الاستقامة أمر هو جد خطير، ولذلك

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، ص692.

(2) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص262.

(3) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: مجموعة من العلماء، ص19.

(4) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ص1162.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج12، ص176.

قال ﷺ: **(شيبتني هود والواقعة وأخواتهما)**.[1][2]

قال النووي: "قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قول الله سبحانه وتعالى: **[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ]**: هذه الآية من أشق الآيات نزولاً على قلب النبي ﷺ"، وقال القشيري: "الاستقامة مكانة عظيمة يحصل بها تمام الأمور وبوجودها يتم كمال الخيرات، ومن لم يكن مستقيماً في سعيه جاداً على الدرب، فقد ضل سعيه، وخاب أمله، والاستقامة لا يحمل تبعاتها إلا الاكابر أصحاب الهمم، لأنها مفارقة للمألوف، وترك للمشتهيات، والتذلل بين يدي الحق تعالى على مبدأ الصدق".[3]

وقد ورد في السنة المطهرة أحاديث عدة في الاستقامة، منها ما ورد عن سفيان بن عبدالله الثقفي – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك – وفي رواية غيرك – قال: **(قل آمنت بالله ثم استقم)**.[4]

قال ابن دقيق العيد: "إجابة السائل في كلمتين تعد من جوامع الذكر:

فالأمر الأول جاء بتحديد الإيمان باللسان، مستذكراً القلب فيه، والأمر الثاني الثبات على العبادات والبعد عن المناهي، حيث لا تجتمع المعاصي مع الثبات على الطاعة لأنهما متقابلان".[5]

رابعاً – تحقيق الأمانة:

هي ثمرة عظيمة من ثمرات الإيمان، وكنز المؤمن في دنياه، ترتجف على وجيبها قلوب المؤمنين، فهي منار الصالحين، ومعدنهم الدفين، ولذا يجب معرفة معنى الأمانة في اللغة

---

(1) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج4، ص437،.

(2) المغني عن حمل الأسفار، العراقي، تحقيق: اشرف عبدالمقصود، ج2، ص1243، الحديث حسنه الترمذي وصححه الحاكم.

(3) المنهاج شرح صحيح سلم بن الحجاج، باب بيان تفاضل الإسلام، النووي، ج2، ص9.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان / باب جامع أوصاف الإسلام، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، ص65، رقم الحديث 38.

(5) شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العبد، ص81، ط6.

والاصطلاح.

الأمانة لغة:

قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون، أصلان متدانيان: الأول: الأمانة مقابل للخيانة، وهو سكون القلب، والثاني: معناه التصديق".[1]

قال الراغب: "أصل الأمن طمأنينة في النفس، وذهاب الخوف".[2]

الأمانة اصطلاحاً:

قال الكفوي: "الأمانة هي مصدر (أمن) بالضم، إذا صار أميناً، وكل أوامر الله أمانة، كالصلاة والصيام ... إلخ".[3]

وقال ابن عاشور: "الأمانة مصدر آمنه إذا جعله آمناً، وأطلقت على الشئ المؤمن عليه، وهي صفة الأمين".[4]

ذكر القرآن الكريم جملة من الآيات تتحدث عن الأمانة، منها:

- **[وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ]** {البقرة:283}.
- **[إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا]** {الأحزاب:72}.
- وقد اقتصر البحث على قوله تعالى: **[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا]**

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج1، ص133.

(2) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ص90.

(3) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش والمصري، ص187-188.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3، ص133.

{النساء:58}.

ا- سبب النزول:

قال أبو حيان: "ذكر أهل العلم في هذا المقام قصة طويلة خلاصتها أن النبي ﷺ أخذ مفتاح البيت الحرام من سادنها عثمان بن طلحة، ولم يكن قد أسلم، وهنا رغب العباس عم النبي ﷺالجمع بين السدانة والسقيا، فنزلت هذه الآية، فأعاد النبي ﷺ المفتاح إلى السدنة، وأسلم عثمان بن طلحة".[1]

ب- من المخاطب في هذه الآية؟

قال الطبري: "اختلف العلماء في هذا السياق على اقوال، بسبب شمول الأمانة جميع مناحي الحياة، والراجح هو خطاب إلهي لولاة الأمر أولاً بأداء الأمانات بقسمة الفئ على من وُلوا أمرهم، ثم المراد كل مؤمن استُودعَ على أمانة من امانات الدين أو الدنيا".[2]

اقتصر البحث على حديث من أحاديث الأمانة هو ما ورد عن عن حذيفة – رضي الله عنه – قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: **(ينام الرجل النوبة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النوبة فتقبض الأمانة من قلبة، فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك، فَنَفِطَ فتراه منتبراً وليس في شئ، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح لناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً اميناً، حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)**، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً ليردنه عليّ دينه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه عليّ ساعيه، وأما اليوم فما كنت

(1) البحر المحيط في التفسير، ابو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ج3، ص683.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ج8، ص493.

أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً".[1]

وقال النووي في شرح مفردات الحديث:

- "الأمانة المقصودة هي التكاليف الشرعية، وهي عين الإيمان.
- معنى الوكت: الأثر البسيط القليل من السواد.
- قوله (المجل) الانتفاخ في اليد بعد العمل بفأس وغيرها".[2]

المعنى الإجمالي للحديث:

الأمانة تبدأ بالزوال عن القلوب تدريجياً، فإذا ذهب جزء من نور الأمانة ترك وراءه ظلمة يسيرة كالوكت، وهو لون يخالف اللون الذي سبقه، ثم يضعف نور الأمانة أكثر حتى اصبح كالمجل، وأثره يكاد لا يذهب إلا بعد حين، فإذا زال نور الأمانة بالكلية من القلب يصبح كجمر متدحرج على رجله حتى يبقى أثر الجمر فيها وهو التنفط أي الانتفاخ، ثم إن حذيفة أخذ حصاة ودحرجها لمزيد من الإيضاح والبيان.[3]

وقال السيوطي: "قوله: (ينام الرجل) معناه قلة الزمن، وليس المقصود النوم ذاته، حيث النوم ليس له تأثير في الأمانة، فيكون المعنى يصبح الرجل في مقدار ذلك الزمان بلا أمانة، بسبب فساد ذلك الزمان، وغلبة الأهواء، وقوله: (ليردن على إسلامه) معناه كان المسلمون يهتمون بالإسلام فيتعاملون بالصدق والأمانة، كما أن الحكام عدول، فلا أبالي من أعامل، فإن كان مسلماً

---

(1) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب الفتن / باب في رفع الأمانة والإيمان من القلوب، تحقيق الألباني، ج2، ص539، حديث رقم 2035.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج2، ص169-170.

(3) المرجع السابق (بتصرف).

رده دينه إلى الحق، وإن كان مشركاً اقتص لي القائم على امر الصدقة".[1]

وقال القاري:

- "الأمانة هي مدار أمر الديانة، وهي الباعثة على التمسك بالكتاب والسنة.
- قوله: (النوبة) الغفلة المترتب عليها فعل السيئة، وهذا ما يسبب نقص الأمانة.
- رفع الأمانة في حقيقته عقوبة لأصحاب الذنوب جزاءً وفاقاً".[2]

بواعث الأمانة (كيف تكون أميناً؟):

لا شك أن الأمانة هي تكليف شرعي عظيم، وجهد إيماني كبير، والمعصوم من عصمه الله، وقد اقتصر البحث على ثمانية بواعث تعين على حمل هذا التكليف نوجزها في النقاط التالية:

1- استشعار عظمة الأمانة، وذلك في قوله: [**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**] {الأحزاب:72}، قال البيضاوي: معنى الآية: نظراً لجسامة الأمر الإلهي بحمل الأمانة، لو عرض هذا الأمر على الأجرام العظام بحيث كانت ذات إدراك لرفضت حملها.[3]

2- عاقبة الغدر وخيمة، وهذا يتضح من قول النبي ﷺ: **(لكل غادر لواء يوم القيامة يُرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة).**[4]

3- الذين يقومون بأداء الأمانة يُحشرون مع الأنبياء، ومصداق ذلك قول النبي ﷺ: **(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء).**[5]

4- الإيمان بأن هناك مساءلة في القبور، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: دخل علي عجوزتان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قال

---

(1) شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، ج1، ص294.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ج8، ص3380.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، باب الترغيب في أداء الأمانة، تحقيق: محمد المرعشلي، ج4، ص240، رقم الحديث 237.

(4) مختصر صحيح مسلم، المنذري، كتاب السيَر/ باب النهي عن الغدر، تحقيق: الألباني، ج2، ص298، رقم الحديث 1124.

(5) الترغيب والترهيب، الاصبهاني، تحقيق: ايمن شعبان، ج1، ص181.

ﷺ: **(صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها)**، فما رأيته صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.[1]

5- الأمانة حتى مع اليهود: من المعلوم أن نبينا ﷺ لقب بالصادق الأمين حتى قبل بعثته، والمتأمل في سيرته يجد أمانته حتى مع اليهود، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان على رسول الله ﷺ بردين قطريين، وكان إذا جلس فعرق فيهما ثقلا عليه، وقدم لفلان اليهودي بُزٌ* من الشام فقلت: لو أرسلت إليه فاشتريت ثوبين إلى الميسرة، فأرسل إليه، فقال: قد علمت ما يريد محمد، إنما يريد أن يذهب بمالي، فقال رسول الله ﷺ: **(كذب، قد علم أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانة)**.[2]

6- ولا تحزن على ما فاتك إذا كانت فيك هذه الخصال، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي ﷺ: **(أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحيث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم)**.[3]

7- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: **اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب، فقال الذي شرى الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: الكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقا.**[4]

8- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ: **أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعضهم بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال، فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل**

---

(1) صحيح وضعيف سنن النسائي، الألباني، ج5، ص211، قال الألباني: صحيح.

* البُز: نوعٌ من الثياب والسلاح، يُنظَر: المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص54.

(2) المصدر السابق، ج10، ص200، قال الألباني: صحيح.

(3) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج1، ص88، قال الألباني: صحيح.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأقضية / باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، تحقيق: محمد عبدالباقي، ج3، ص1345.

مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحث فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم اقدر، وإني استودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فغذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان اسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي اتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشئ؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً.[1]

إن الناظر في النصوص السابقة يستشعر في قلبه هيبة الأمانة التي انعكست على سلوك أصحابها، وهنا يجمل أن يحدث المسلم نفسه: أما ترضين أن تكوني مع الأمناء؟ فإذا طرقها هذا الطارق اللطيف، فينبغي بعد هذه الطائفة من النقول العظيمة أن يهيئ نفسه ويستعد، ويشمر عن ساعد الجد ليُسجل في صفحات الخلود مع الأمناء الصادقين.

خامساً – تحقيق المجتمع المراقب:

إن المجتمع المراقب هو منظومة كاملة تقوم على أعمال ومفردات الإسلام والإيمان، يدفعها الإيمان بأن الله – جل جلاله – يراقبها، وقد اقتصر البحث على أنموذج من القرآن الكريم هم قوم يونس كنموذج إيماني، وهو نموذج رائع أبرزته سورة يونس، قال تعالى: **[فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ]** {يونس:98}.

قال ابن كثير: "الكلام يدور في الآية الكريمة عن أهل نينوى*، الذين عاينوا أسباب العذاب

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحوالات / باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، تحقيق: محمد الناصر، ج3، ص95، رقم الحديث 2291.

* مدينة تقع شرق الموصل بالعراق، يُنظَر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج1، ص316.

الذي خوفهم به رسولهم، والذي خرج من القرية، حينها استغاثوا بالله وتضرعوا إليه، وخرجوا إلى ساحات القرية بصغارهم، ودوابهم، وجاروا إلى الله كي يكشف عنهم السخط والعذاب، فحينئذٍ رفع الله تعالى عنهم العذاب، وقذف في قلوبهم الإيمان المنقذ من عذاب الآخرة".[1]

والسؤال: ماذا أفاد الاستثناء في قوله: (إلا قوم يونس)؟

جاء في إعراب القرآن وبيانه: قال الزجاج: الاستثناء في الآية منقطع، والتقدير: لكن قوم يونس لما آمنوا.[2]

ما يستفاد من النص:

عندما حل العذاب بقوم يونس – عليه السلام – وأدركوا ان العذاب واقع بهم لا محالة، خرجوا يعلنون توبتهم بصدق، فلما رأى الله – عز وجل – توبتهم كشف عنهم العذاب، وهذا يعلمنا أن المجتمع الذي يستشعر مراقبة الله تعالى، يجب أن يكون مجتمعاً يتحلى بسمة عظيمة هي سمة التوبة، وهذا يدعونا إلى التعرف على التوبة لغة واصطلاحاً:

أولاً – التوبة لغة:

قال الراغب: "التوب: هو مفارقة المعصية على أفضل الوجوه، وهو أعظم وجوه الاعتذار، لأن الاعتذار له ثلاثة أوجه: أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لسبب كذا، أو يقول: أسأت وفعلت وقد أقلعت، والأخير هو التوبة".[3]

وقال ابن فارس: "توب: التاء والواو والباء كلمة معناها الرجوع، يقال تاب من الذنب أي رجع عنه".[4]

ثانياً – التوبة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "التوبة: توثيق بالعزيمة ألا يعود لفعل الذنب[5]، وجاء في التعريفات الفقهية:

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج4، ص297.

(2) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج4، ص301.

(3) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص169.

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج1.

(5) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، ص95.

التوبة: هي تنزيه القلب عن المعاصي".[1]

شرائط التوبة:

قال النووي: "قال العلماء: إذا كان الذنب بين العبد وبين الله – جل جلاله –، فللتوبة شروط ثلاثة هي:

- إحداها أن يقلع عن الذنب.
- وثانيها الندم على فعله.
- وثالثها العزم الأكيد على عدم الرجوع إلى اقترافه.

أما إذا كان الذنب بين العبد وعبد آخر، حينئذٍ يكون للتوبة شرط رابع هو أداء الحقوق إلى أصحابها".[2]

قال ابن القيم: "التوبة هي بداية العبد وخاتمته، وإن الله تعالى قال: **[وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]** {النور:31}، والمعلوم أن سورة النور مدنية خاطب فيها الله – جل جلاله – خيار الخلق وأمرهم بالتوبة، وذلك بعد امتحانهم وابتلائهم وجهادهم وهجرتهم، ثم ربط الحق – جل وعلا – الفلاح بالتوبة، وجاء بلفظة (لعل) في الآية التي تُشعر بالترجي، إعلاماً لهم بأن التائب على مدرجة الفلاح، وإن الله تعالى قال: **[وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]** {الحجرات:11}، وفي الآية بيان أن المجتمع ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما، فإما تائب، وإما ظالم، وهو الذي لم يتب، وهو الذي جهل حق ربه، وجهل آفات نفسه وفظيع عمله".[3]

وقد اقتصر البحث على قوله تعالى: **[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]** {الذاريات:15-18}.

قال الطبري: "إن الذين اجتنبوا المعاصي في الدنيا لهم البساتين وعيون الماء العذب في الآخرة، ثم بين الحق – جل جلاله – سماتهم بأنهم كانوا مؤدين لفرائضه، وكانوا يكابدون الليل

---

(1) التعريفات الفقهية، البركتي، ج1، ص64،.

(2) شرح المنهاج صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج17، ص25، (بتصرف وإيجاز).

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج1، ص196، (بتصرف وإيجاز).

بصلاة القيام، فإذا جاء الثلث الأخير من الليل استغفروا من المعاصي".[1]

ومما يلفت الانتباه إلى أن أهل القيام يستغفرون عقب الطاعة والسهر طوال الليل، فأولى في غيرها الاستغفار والتوبة.

وفي الحديث عن الأغر المُزَني، وكانت له صحبة، أن رسول الله ﷺ قال: **(إنه ليغان[2] على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة).**[3]

قال القاري: "كان قلبه ﷺ تأتي عليه غفلات وفترات مما يسري على باقي البشر، وذلك التفاتاً إلى حظوظ النفس من طعام وغيره، فإذا فتر عن الذكر اعتبره ذنباً فاستغفر ليعود للقلب نوره وصفاؤه".[4]

وخلاصة القول أن هذا كان شأن النبي ﷺ بصورة يومية، فأولى بكل مؤمن ومؤمنة أن يحذو حذو النبي ﷺ تعبيراً عن توبته المتجددة لله سبحانه وتعالى.

يتضح مما سبق أهمية أداء الحقوق إلى اصحابها كشرط من شروط التوبة النصوح، وقد شرحت السنة عظيم هذا الأمر كما يأتي:

1- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: **(لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء).**[5]

2- وعن جابر – رضي الله عنه – قال: توفي رجل فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه، فقلنا: تصلي عليه؟ فخطا خطى، ثم قال: أعليه دين؟ قلنا: ديناران فانصرف، فتحملهما أبو قتادة، فقال أبو قتادة: الديناران علي، فقال رسول الله ﷺ: **أحق**

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج22، ص413.

(2) ليغان: أي يُغطى ويُلبّس على قلبي، وأصله من الغين وهو الغطاء، ولذلك قيل للغيم: غين. يُنظَر: معالم السنن، الخطابي، ج1، ص295.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج4، ص2075، رقم الحديث 2702.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ج4، ص1610.

(5) الأدب المفرد، البخاري، كتاب الخدم والمماليك / باب قصاص العبد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج1، ص74، رقم الحديث 183، قال الألباني: صحيح، 1409هـ.

الغريم، وبرئ منهما الميت؟ قال نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: **ما فعل الديناران؟** فقال: إنما مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد، فقال: قد قضيتهما، فقال رسول الله ﷺ: **الآن بردت جلدته)**.[1]

3- لا يخفى على القارئ أن آية الدَّين جُعلت أطول آية في القرآن الكريم، وذلك لأهمية الحقوق المالية في المجتمع، من هذا المنطلق ينبغي التأكيد على أهمية رد الحقوق دون مماطلة لأصحابها تجسيداً وتأكيداً على معنى التوبة الصادقة.

إن المجتمع – بمجموعه – إذا وصل إلى هذه المنزلة الإيمانية فقد تبوأ مقاماً عظيماً في مراتب الإيمان، وارتقى إلى مكانة المجتمع الذي يستشعر رقابة الله تعالى عليه، ذلك المجتمع الذي يفقه أن الحياة حقوق وواجبات.

روي أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – قام بتعيين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قاضياً على المدينة المنورة، فلبث عمر عاماً كاملاً لم يتقاضى إليه خصمان، فطلب الفاروق إعفائه من المسئولية، فسأله أبو بكر قائلاً: هل تطلب إعفاءك بسبب مشقة الحكم والقضاء؟ فقال عمر: لا يا أبا بكر ولكن لا أرى حاجة عند أناس مؤمنين، فقد فهم كل منهم حقه فلم يطلب المزيد، وعلم كل واجب عليه فلم يألُ جهداً فيه، فكل واحد منهم يحب لأخيه كما يحب لنفسهن فإذا غاب أخ عنهم افتقدوه، وغذا مرض زاروه، وإن أصابه الفقر ساعدوه، وإذا أصيب بمال أو ولد واسوه، هؤلاء دينهم النصيحة، وأما خلقهم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيم يختصمون؟[2]

---

(1) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، ج5، ص248، رقم الحديث 1416.، قال الألباني: حسن.

(2) صفحات مطوية، محاضرات مفرغة، علي بن عبدالخالق القرني، ج16، ص15.

المطلب الثاني
ثمرات المراقبة في الآخرة

ذكر العلماء ثمرات عديدة للمراقبة في الآخرة، منها: كسب رضا الله تعالى، والفوز بالجنة، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً – كسب رضا الله تعالى:

إليها يتطلع العابدون، ومن أجلها سُفكت دماء الشهداء والمرسلين، من جازها ظفر بخيري الدنيا والآخرة، وهذا يدعونا إلى التعرف على الرضا لغة واصطلاحاً.

الرضا لغة:

قال الراغب: "الرضا نوعان: فرضا العبد عن الله: عدم كرهه قضاء الله عليهن ورضا الله عن العبد: رؤيته للعبد مؤتمراً للأوامر، منتهياً عن النواهي".[1] وقال الفيروز أبادي: "الرضا: ضد السخط".[2]

الرضا اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "الرضا: فرح القلب بمر القضاء.[3] وجاء في التعريفات الفقهية: الرضا: القبول والاختيار".[4]

وردت آيات كثيرة تتطرق إلى الحديث عن الرضا، منها:

- قوله تعالى: [**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**] {الفتح:18}.
- [**جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ**

---

(1) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص35.

(2) القاموس المحيط، الفيروز ابادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، ج1، ص1288.

(3) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ج1، ص111.

(4) التعريفات الفقهية، البركتي، ج1، ص105،.

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] {البيّنة:8}.

- ونقف مع قوله تعالى: **[قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ]** {المائدة:119}.

يقول سيد قطب: "هي كلمة رب العالمين في مشهد أمام كل الخلائق، ومع هذه الكلمة الفاصلة يأتي الجزاء العظيم اللائق بأهل الصدق:

- لهم جنات تجري من تحتها الأنهار.
- خالدين فيها أبداً.
- رضي الله عنهم.
- ورضوا عنه.

إذن هي درجات بعد درجات، فالخلود في الجنات، ورضا الله، ورضاهم عن الله بما أُكرموا من الله سبحانه وتعالى".[1]

إن أهل الإيمان لما صدقوا الله في إيمانهم في الحياة الدنيا، استحقوا رضا الله في الآخرة، ورضوا بما أعطاهم من الجنات في دار السعادة الأبدية.

أما في قوله تعالى: **[رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ]** {البيّنة:8}.

والسؤال: ما هو السر في تقديم (رضي الله عنهم) على قوله (ورضوا عنه)؟

يقول الرازي: "السر في التقديم أن الأزلي، وهو الله تعالى، هو المؤثر في المحدث (الإنسان)، أما المحدث فلا ولن يؤثر في الأزلي، ثم إن النظم القرآني في قوله: (رضي الله) ولم يقل: (رضي الرب)، ولا أي من الأسماء، لأن اسم الجلالة هو أشد الأسماء تعظيماً وهيبة، فهو الاسم الدال على الذات والنعوت.[2]

وهذه وقفة مع سورة الضحى في قوله تعالى: **[وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]** {الضُّحى:5}: يقول سيد قطب: إنه الرضى الشامل في لطيف العبارة، والحنان الدافئ، فقد أطلق التعبير ظلالاً

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2، ص1002.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج32.

من الرحمة، ونسائم الشفقة، بل هدهدة للروح المتعب والقلب المفطور الموجوع.[1]

والسؤال: ما هو السر البلاغي في الآية؟

يقول درويش في قوله تعالى: [**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**] {الضُّحى:5}: "ظهر جلياً فن الحذف، فقد حذف مفعول (يعطيك) الثاني تعظيماً لشأنه وتهويلاً لأمره، وإن هذه المعطيات أجل من الذكر، والمعنى سيعطيك الشئ الكثير، كعلو أمتك على الأمم في الدنيا والآخرة".[2]

معاني وأسرار الآية:

- القسم في الواو، واللام الموطئة للقسم، والقسم المضمر في (لسوف)، كأنه يقول: (والله سوف)، وهذه كلها مؤكدات تطمئن القلب وتسكب السكينة في الروح.
- لفظة (يعطيك) تفيد التجدد والاستمرار واستحضار الصورة، فكل من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد ﷺ نبياً، سيُعطى حتى يرضى ما بقي على إيمانه.
- يتضح مما سبق أن معاني وإيحاءات (يعطيك) أي يعطيك الإيمان الذي تمخر من خلاله في بحر المحن، وتنجو به من نار الفتن، الإيمان الذي تتلذذ من خلاله بالطاعات، ويعبر بك بأمان إلى جنة الرحمن.

وفي الحديث القدسي، عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(وإن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شئ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده ابداً)**.[3]

قال القسطلاني: "إن كل من عرف أن سيده راض عنه، كان أطيب لقلبه وأقر لعينه من كل نعمة، لما في ذلك من التكريم، وقال الطيبي: أعظم أصناف الكرامة رؤية الله سبحانه وتعالى،

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص3926، (بتصرف وإيجاز).

(2) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج10، ص513.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار تحقيق: محمد الناصر، ج8، ص114، حديث رقم 6549.

جُعل الرضوان كالجائزة للقادمين الوفود على الملك الأعظم".[1]

يتضح مما سبق أن الرضا هو ثمرة عظيمة من ثمار المراقبة، لما في هذه المنزلة العظيمة من السكينة والطمأنينة التي تتمثل في التعلق بطاعة الله تعالى في دار الدنيا، ورؤية وجه الله العظيم الكريم في الدار الآخرة.

ثانياً – الفوز بالجنة:

بعد أن تطرق البحث إلى الحديث عن كسب رضا الله تعالى كثمرة من ثمرات المراقبة في الآخرة، يأتي الحديث عن الثمرة الثانية وهي الفوز بالجنة، فهي منتهى أماني المؤمنين، ولأجلها تفجرت دموع التائبين، وفي سبيلها تنازل أهل الجد عن حظوظهم من دنيا المغتربين، ودونها تقطعت أجساد الأنبياء والمرسلين، إذ الفوز بها من أعظم آمال الموحدين، وهذا يدعونا إلى التعرف على معاني الفوز بالجنة في اللغة والاصطلاح.

الفوز لغة:

قال الراغب: "الفوز: نيل الخيرات مصحوباً بالسلامة،[2] وقال ابن فارس: الفوز بمعنى النجاة".[3]

الفوز اصطلاحاً:

قال الكفوي: "الفوز، النجاة من المكروه ولقاء المحبوب"،[4] وقال الرازي: "الفوز: الظفر

---

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج9، ص319.

(2) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص647.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج4، ص459.

(4) الكليات، الكفوي، تحقيق: درويش، والمصري، ج1، ص675.

بالخير مع النجاة".[1]

وأما تعريفات الجنة في اللغة والاصطلاح فهي كما يلي:

الجنة لغة:

قال الراغب: "أصل الجنة بكسر الجيم الستر عن الحاسة"،[2] وقال ابن فارس: "جن: الجيم والنون أصل واحد هو الستر".[3]

الجنة اصطلاحاً:

قال الرازي: "الجنة بمعنى البستان"،[4] وقال الشوكاني: "الجنة البستان، سميت بذلك لأنها تجن صاحبها، أي تستره بأشجارها".[5]

موجبات الفوز بالجنة:

اعلم أن العمل الصالح بمجموعه يعد من موجبات الفوز بالجنة، وقد اقتصر البحث على باقة من هذه الموجبات:

أ- **كظم الغيظ:** قال تعالى: **[وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ]** {آل عمران:133-134}.

يقول الطبري في تفسير الآية: "يقال: فلان كظم غيظه، إذا حفظ نفسه من امضاء ما هي قادرة على فعله بالانتصار ممن ظلمها".[6]

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: **(من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على**

---

(1) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ج1، ص244.

(2) مفردات القرآن، الراغب، تحقيق: صفوان داودي، ج1، ص203.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج1، ص421.

(4) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ج1، ص62.

(5) فتح القدير، الشوكاني، ج1، ص103.

(6) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج7، ص214.

رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء).[1]

يتضح مما سبق أن هذه المنزلة العظيمة استحقها الكاظمون لغيظهم لأنهم اجتنبوا مساخط ربهم إما بالقتل أو الضرب أو الشتم ...إلخ، وهذا الشعور بالمسئولية عن الديانة بحفظ النفس نادر عند أهل الطاعات والعبادات، فتأمل.

ب- الصبر على الفقر:

لما كانت الدنيا دار ابتلاء وتمحيص، وقد قُسّم لكل إنسان نصيبه من الرزق، جُعل الفقر ابتلاءً ليُرى أفعال البشر كيف يتعاملون مع هذا الابتلاء، والبشر متفاوتون في الصبر على الفقر، والمراقبة – كمنزلة إيمانية – تصقل النفس الإنسانية، وتصهرها في مواجهة الشدائد، ولهذا لما وصف رب العزة – جل جلاله – أهل الإيمان قال: [**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**] {البقرة:177}.

والسؤال: ما معنى البأساء والضراء؟

يقول ابن كثير: "البأساء: الفقر، والضراء: المرض".[2]

وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة، من طعام البُر ثلاث ليال تباعاً، حتى قُبض.[3]

قال القاري: "المراد بثلاث ليال: الأيام مع الليالي، والسبب في عدم الشبع هو قلة الشئ في ابيات النبي ﷺ ".[4]

وخلاصة القول أن قدوة المسلمين الأولى في الاتباع في كل مناحي الحياة هو النبي ﷺ، لذا يجمل بمن قُدر عليه رزقه أن يتكيف مع هذا الفقر، وان يقتصد في النفقات، وأن يحتسب هذا

---

(1) صحيح ابن ماجة، ابن ماجة، تحقيق: الألباني، ج2، ص407، قال الألباني: حسن.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج1، ص488.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق / باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، تحقيق: محمد الناصر، ج7، ص75، رقم الحديث 5416.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج21، ص27.

الابتلاء وهو الصبر على الفقر غنيمة وأجراً عند الله تعالى.

ج- الرباط في سبيل الله تعالى:

قال جل جلاله: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**] {آل عمران:200}.

قال الطبري: "يخاطب الحق – جل وعلا – أهل الإيمان بالصبر على أوامر الدين، صعبها وشديدها، سهلها وخفيفها، واصل الرباط هو ربط الخيل للأعداء، ويستعمل الرباط في كل من أقام على ثغر يقصد به حماية الدين والبلاد والعباد".(1)

يتضح مما سبق أن المرابط له أجر عظيم يجري عليه في الدنيا، وفي قبره، وبعد الموت، لأنه نذر نفسه ليكون فداءً لدينه ووطنه.

وفي الحديث عن فضالة بن عبيد – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(كل الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر).**(2)

د- الصبر على المحن:

قال سبحانه وتعالى: [**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**] {الزُّمر:10}.

قال الرازي: "المراد تجرع الغصص، واحتمال المحن في طاعة الله تعالى، ومعنى قوله: (بغير حساب) أنه بدون نهاية، فكل ما دخل تحت الحساب متناهٍ، والصابرون يلقون من أصناف الأجور أعظم مما توقعوه، حتى يتمنى المعافون في الدنيا أن تقرض أبدانهم بالمقاريض لفضل أهل الصبر".(3)

وفي الحديث عن صهيب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن**

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج7، ص508-509.

(2) صحيح وضعيف سنن أبي داود، تحقيق: الألباني، ج5، ص500، قال الألباني: صحيح.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج26، ص431، ط3.

اصابته ضراء صبر، فكان خيراً له).[1]

يتضح مما سبق أن المراقبة كمنزلة إيمانية يعيش فيها المؤمن بهذا الخير المشار إليه في الحديث، كون أن الإيمان انعكس على سلوك صاحبه، فصبر لاسيما في الضراء، وهو ثمرة هذه المراقبة.

هـ- الصبر على فقد الولد:[2]

الأبناء نعمة عظيمة من الله، مَن حافظ عليها كانت له كنزاً في الدنيا، وذخراً في الآخرة، ونحن في دار الامتحان معرضون جميعنا لابتلاء فقد الأبناء، قال سبحانه وتعالى: **[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]** {البقرة:155}.

يقول النسفي: "آذن الحق – جل وعلا – عباده بوقوع القليل من كل بليّة من البلايا المذكورة في الآية، وهذا الإيذان جاء قبل الوقوع لتوطين النفوس عليها، وبيّن – سبحانه وتعالى – أن النقص في (الأموال) بهلاك الأنعام أو الزكاة، والنقص في (الأنفس) يكون بالقتل أو الموت، و(الثمرات) إما ثمرات الحرث، أو وفاة الأبناء، لأن الابن هو ثمرة القلب، وختم الآية بالبشرى لأهل الصبر والاسترجاع، لأن الاسترجاع إذعان وتسليم".[3]

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: حَمَدَكَ واسترجَع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد).**[4]

الخلاصة:

هذه جملة من مسلكيات توجب لفاعلها الجنة، كما أظهر مفهوم القرآن الكريم والسنة

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج4، ص2295، رقم الحديث 2999.

(2) الفوز في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، مفاز داوود، ص78-82.

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسي، تحقيق: يوسف بديوي، ج1، ص144.

(4) رياض الصالحين، النووي، تحقيق: الألباني، ج1، ص362، رقم الحديث 427، رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

المطهرة، ويتضح مما سبق أنه:

- يجمل بكل مسلم أن يتحلى بالمراقبة، وأن يعلم أن دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وغربة، يمكث فيها المسلم برهة يسيرة كالمسافر الذي لا يلبث أن يعود إلى أهله.
- إن ثمرة المراقبة كمنزلة إيمانية، الصبر والمجالدة، والمكابدة وعدم النكوص، نعم إنها أمانة الإيمان التي ناءت بحملها المساوات والأرض، ومع مشقة التكليف، وعبء الثقل على كاهل القلب.
- تسري روح الإيمان في شرايين المؤمن فتطغى حلاوة الإيمان على علقم الابتلاء، وهنا يكون الفوز، فوز المبادئ الثابتة على القيم السفلى والبائدة، فيعيش المؤمن مطمئناً إلى ربه ودينه، كأنما ينتظر الجزاء الجزيل من رب العزة على تحمله المشاق والصعاب في سبيل رفعة دينه.

المبحث الثالث
نماذج من أحوال أهل المراقبة

المطلب الأول
مراقبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم خيرة البشر، وافضل من دبّ على الارض، صاغوا حياتهم لتكون في خدمة دينهم، تحملوا من أجل الدين أقسى أنواع العذابات، سلكوا الدروب الوعرة، وداسوا على الأشواك، لينهضوا بأممهم نحو الخير والكمال، فكانوا حقاً أئمة في الدعوة والسلوك والقول والعمل.

وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الأنبياء الذين عاشوا في منزلة المراقبة ليكونوا قدوة للمؤمنين، وقد اقتصر البحث على ثلاثة منهم كما في الصفحات التالية:

أ- آدم عليه السلام:

قال سبحانه وتعالى حكاية عن آدم عليه السلام: **[فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]** {البقرة:37}.

المعنى الإجمالي: يقول الطبري: "إن الله تعالى لقّى آدم كلمات الأوبة، فقبلها آدم تائباً منيباً، فلما قال آدم الكلمات تاب الله عليه".[1]

القراءات: قال ابن زنجلة: "للآية قراءتان:

- **قراءة ابن كثير: [فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ]** {البقرة:37}.

الفعل في الآية للفظة (كلمات) لأنها تلقت آدم، فالكلمات فاعل، وآدم مفعول به منصوب.

الحجة: تقول العرب: تلقيت زيداً، وتلقاني زيد، وهما في ذات المعنى، لأن ما نالك فقد

(1) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج1، ص541.

نلته.

- **قراءة الجمهور: [فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ]** {البقرة:37}.

الفاعل (آدم) حيث تلقى الكلمات من الله تعالى، و(كلمات) مفعول به منصوب بالكسر.

الحجة: تقول العرب: تلقيت هذا من فلان، فيكون المعنى: أن فهمي قبلها منه، فإذا كان آدم هو من قبل الكلمات، فالكلمات مقبولة".[1]

وقال ابن خالويه بنحو ما قال ابن زنجلة، وعقّب على القراءتين "بأن هذا ما يسميه النحويون المشاركة في الفعل".[2]

- **أثر القراءات في المعنى:**

إن المتأمل بعين البصيرة في كلتى القراءتين للآية، يجدها نفحة نور تلألئ جواهر المعاني القرآنية، فتبدد كاملة مسلّمة لا شية فيها، وهذه المعاني لا تكتمل إلا بالقراءتين:

- قراءة ابن كثير: وتدل على واسع رحمة الله، فهو – سبحانه – مَن أرسل كلمات التوبة، ولعظم أمر الكلمات جُعلت فاعلةَ، كأنما هي غطاء رحمة يمضي متحركاً ليدخل آدم في كنفه.
- قراءة الجمهور، تدل على انصياع آدم للأمر الإلهي، فقد فطن إلى الكلمات فتقبلها بكل حبور وتقدير وإعزاز، وطبقها، فالكلمات عين سلسبيل لا يُدرك عذوبتها أو نقاؤها أو صفاؤها، لقد تطهر آدم بهذه الكلمات، وروي من رحيقها المختوم، فنال المغفرة والقبول.[3]

من روائع قصة آدم عليه السلام:

1- نسيان آدم لنهي الله له أوقعه في أكله من الشجرة المنهي عنها، كما قال تعالى: **[فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا]** {طه:115}.

2- عظيم رحمة الله – سبحانه وتعالى – حيث قال: **[فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]**

---

(1) حجة القراءات، ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ج1، ص94-95.

(2) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: عبدالعال مكرم، ج1، ص75.

(3) يُنظَر: موقع ملتقى أهل التفسير، على الرابط: https://vb.tafsir.net .

{البقرة:37}.

3- العداوة قديمة ومستحكمة بين آدم وذريته، وإبليس وذريته، إلى قيام الساعة.

4- المتقلب في النعم الإلهية يجب عليه المحافظة عليها بالشكر والبعد عن الذنوب.[1]

ويتضح مما سبق أن من فوائد القصة ما يلي:

- أن آدم خلق من طين، وبأكله من الشجرة نزع إلى خِلقته الأرضية، فأراد الله – عز وجل – أن يمحو خطيئته ويرفع قدره بالتوبة.
- التوبة منحة إلهية لآدم وذريته.
- المراقبة الإلهية لآدم صاغت مراقبة ذاتية لآدم ونسله.

ب- يونس عليه السلام:

قال تعالى: **[وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ * فَالتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]** {الصَّافات:139-144}.

المعنى الإجمالي: يقول الطبري: "الحديث في الآيات الكريمات يدور حول يونس الرسول الذي فرّ إلى السفينة المليئة بالحمولة، ثم إن السفينة احتبست فعلم ركابها أن هذا بسبب ذنب اقترفوه، فاقترعوا ومعهم يونس – عليه السلام – فقُرع يونس، فألقى بنفسه في البحر، فسارع الحوت فابتلعه، وكان يلوم نفسه ويعاتبها، ثم إنه كان من أهل الذكر قبل البلاء، وهذا التسبيح أنقذه وإلا لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة".[2]

والسؤال: ماذا أفادت لفظة (مليم)؟

يقول محيي الدين درويش: "مليم: تدخل في الملامة، إذا فعل الرجل ما يلام عليه، أما الإعراب: وهو مليم، الواو للحال، هو: مبتدأ مليم خبرها، والجملة في محل نصب على الحال".[3]

وهذا يُظهر جلياً أن حال يونس – عليه السلام – ساعة الإلقاء في البحر، كان الملامة

---

(1) موقع نداء الإيمان، على الرابط: https://www.al-eman.com .

(2) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج21، ص108.

(3) إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج8، ص312.

ومعاتبة النفس على التقصير، وهذا يقودنا للحديث عن النفس اللوامة.

ما هي النفس اللوامة؟

يقول ابن تيمية: إن النفس تنقسم إلى ثلاثة اقسام:[1]

أ- النفس الأمارة بالسوء: وهي التي غلب عليها فعل المعاصي والذنوب.

ب- النفس اللوامة: وهي التي تعصي فتتوب، فسميت لوامة تلوم صاحبها على المعاصي، ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر.

ج- النفس المطمئنة: وهي المُحبة لفعل الحسنات، وتكره السيئات، حتى أصبح ذلك عادة وملكة لها، هذه الأحوال الثلاث لذات واحدة، ويجدها كل إنسان في نفسه.

يرى الباحث أن إغضاب قوم يونس عليه السلام له هو الذي حمله على ترك الأولى، فلما ألقى بنفسه في البحر شعر بذاته تلومه وهو ما صوره القرآن الكريم تصويراً فنياً في قوله تعالى: **(وهو مليم)**، فلهج – عليه السلام – بالتسبيح، وهو الوارد في قوله تعالى: [**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**] {الأنبياء:87}.

فماذا كانت النتيجة والعاقبة؟ قال تعالى: [**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ**] {الأنبياء:88}.

من روائع القصة:

- عظمة النفس اللوامة عندما تُصهر بنور المراقبة.
- التائب في مقام كريم عند الله، بدليل لفظ الحوت ليونس – عليه السلام-.
- عظمة التسبيح الذي هو من مفاتيح تفريج الكرب.
- لا أحد يفلت من الرقابة الإلهية، فخروج يونس – عليه السلام – لن يؤثر على قومه.
- أهمية الدعوة إلى الله والثبات عليها.
- دعاء يونس تفريج لكرب جميع المسلمين إن تمسكوا وداوموا عليه.

وفي الحديث عن سعد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدعُ بها رجل**

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن قاسم، ج9، ص294، (بتصرف وإيجاز).

مسلم في شئ قط إلا استجاب الله له).[1]

ج- نوح عليه السلام:

هو أول من دعا إلى الله تعالى، ويدعى شيخ الأنبياء والمرسلين،[2] وكان بينه وبين آدم ألف عام، مصداق ذلك حديث النبي ﷺ: **(كان بين آدم ونوح عشرة قرون).**[3]

وقد اقتصر البحث على آيات من سورة القمر هي قوله تعالى: **[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ]** {القمر:9-12}.

المعنى الإجمالي: يقول الطبري: "الآيات توضح الوعيد لمن كذب بدعوة النبي ﷺ من مشركي مكة وعامة المكذبين، وأنه سيحل بهم ما حل بمن قبلهم من العذاب، فقد اتهم قوم نوح إياه بالسفه والجنون، وهنا توجه نوح – عليه السلام – بالدعاء قائلاً: يا رب إن قومي قد عتوا وتمردوا، فانتصر منهم، فلما استغاث فتحنا أبواب السماء بماء متدفق، ومن ثم أسلنا عيون الماء في الأرض، فالتقى الماءان: ماء السماء وماء الأرض على أمر قضاه الله تعالى".[4]

ويقول سيد قطب: "عاد نوح إلى ربه الذي كلفه بالبلاغ منهياً إليه العمل والجهد، بعدما انتهت الطاقة والحيلة، عاد طالباً النصر، فتشير اليد القاهرة إلى النواميس الكونية، فتدور دورتها المجلجلة، فيشعر القارئ بيد الجبار هي التي تفتح أبواب السماء، وتحول الأرض كلها إلى عيون، والتقى الماء المنهمر بالمتفجر على اتفاق لتطبيق وتحقيق الأمر الإلهي".[5]

من روائع البلاغة في الآيات:

- الباء في قوله تعالى: **[فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ]** {القمر:11} لها وجهان:

أ- كأنه يقول: إن مقصودك جاء إلى الباب الموصد ففتحه وجاءك.

ب- الاقتران بلفظ (منهمر) أفاد أن خروج الماء من السحاب ذلك يوم اليوم كان خروج مرسل

---

(1) الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج1، ص570، قال الألباني: صحيح.

(2) قصص القرآن، سعد عزيز، ص41، ط2.

(3) السلسلة الصحيحة، الألباني، ج9، ص69، رقم الحديث 3298.

(4) جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج22، ص577-578.

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص343، ط17.

خارج من باب.

- السر في قوله تعالى (وفجرنا الأرض عيوناً) ولم يقل فتحنا السماء أبواباً، لأن السماء أعظم من الارض، فهي للمبالغة، فقال (أبواب) ولم يقل منافذ أو أنابيب.[1]

يتضح مما سبق أن الداعية الصلب قوي الإيمان، الذي صمد في دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً، قد وصل إلى نهايته، فأبصر بنور المراقبة أنه لا فائدة من دعوة قومه، فدعا عليهم بالهلاك.

وفي الحديث قال ﷺ: **(إن نبي الله نوحاً صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شئ، وبها يرزق كل شئ، وأنهاك عن الشرك والكبر ...)** الحديث.[2]

يتضح مما سبق أن **من فوائد الحديث:**

1- الوصية أصدق ما يقوله الإنسان قبل الموت.
2- حرص الأنبياء على تسليم أمانة الدين.
3- الأذكار الواردة في الحديث من الجوامع.
4- أظهر الحديث مفتاحاً عظيماً من مفاتيح الرزق.
5- ضياء المراقبة في قلب شيخ الأنبياء ظهر جلياً في الأمر والنهي معاً.
6- السلوك النبوي الوارد في الحديث هو نبراس لكل الآباء.
7- التشبيه العظيم للمساوات والأرضين أوضح عظمتهما في أسلوب بلاغي رائع موجز.
8- المواظبة على ترديد كلمة التوحيد رافد عظيم هو من أعظم روافد المراقبة.
9- أفضلية كلمة التوحيد.

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج219، ص296.

(2) صحيح الأدب المفرد، البخاري، باب الكبر، تحقيق: الألباني، ج1، ص206، رقم الحديث 548، قال الألباني: صحيح.

المطلب الثاني

مراقبة النبي ﷺ وصحابته الميامين – رضي الله عنهم

إن مراقبة النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى، انعكست في أقواله وأفعاله فكانت حياته ﷺ مرآة واضحة انعكست فيها أعظم صورة جسدت منزلة المراقبة كمنزلة إيمانية، كأن الله تعالى يقول لكل البشر هذا هو الإنسان الذي أريد، فكونوا مثله وتشبهوا بأفعاله ﷺ.

وفي الصفحات التالية سنتعرف على أهم ملامح مراقبة النبي ﷺ وصحابته الميامين – رضي الله عنهم –.

أولاً – مراقبة النبي ﷺ:

أ- قال سبحانه وتعالى: **[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا]** {الأحزاب:21}.

قال سبحانه وتعالى: **[وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ]** {التَّحريم:3}.

يقول الطبري: "إن النبي ﷺ ذكر سراً لحفصة – رضي الله عنها – وهو تحريم فتاته أو ما حرم على نفسه مما كان الله تعالى قد أحله له، فلما أفشت بالحديث الذي استكتمها إياه ﷺ إلى صاحبتها عائشة – رضي الله عنها – وأظهر الله نبيه ﷺ على إنبائها عائشة بذلك، فعرّف النبي ﷺ حفصة ما أظهره الله تعالى عليه من حديثها لصاحبتها عائشة، وترك ﷺ إخبارها ببعض الحديث لكرم أخلاقه الشريفة، فلما تساءلت: من أخبرك بهذا الخبر؟ قال ﷺ: أخبرني به العليم بسرائر العباد ومكنون قلوبهم، الخبير بأفعالهم وأمورهم".[1]

من أسرار الآية:

- التغافل فهم نبوي كريم ينبغي أن ينعكس على سلوك المسلم.
- من فقه المراقبة الإغضاء عن توافه الأمور التي يقع بها أصحاب الإيمان، وعدم تصيد

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ج23، ص482.

أخطائهم.

- من الذكاء الاجتماعي الحرص على العلاقة الإنسانية بترك تقصي أمور من نخالط ومن نحب، وهذا ما نلمسه في الأثر المروي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنا الصائم، ومنا المفطر، فلا يجد (أي لا يعيب) الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم.[1]

ب– عن أبي سِروعة (بكسر السين المهمة وفتحها) عقبة بن الحارث – رضي الله عنه – قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم ثم قام مسرعاً، فتخطى رقاب الناس إلى بعض هجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: **(ذكرت شيئاً من تبر عندنا، فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته).**[2]

قال ابن حجر:

- "التبر هو الذهب.
- التفكر أثناء الصلاة بأمر لا يتعلق بها لا يفسد الصلاة.
- يجوز أثناء الصلاة إنشاء العزم على أمر مباح".[3]

وقال ابن بطال: "من فوائد الحديث:

- يباح للإمام الانصراف إذا شاء قبل الناس.
- يُخشى على من حبس صدقة أو زكاة أن يحبس لأجلها يوم العرض، لقوله ﷺ: (كرهت

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصيام / باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان، تحقيق: محمد عبدالباقي، ج2، ص787، رقم الحديث 111.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم، تحقيق: محمد الناصر، ج1، ص170.

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج2، ص337.

أن يحبسني)".[1]

يتضح مما سبق أن من فوائد الحديث:

- صرف الهمم إلى معالي الأمور واشرافها.
- حياة المسلم كلها محطات للطاعة، كلما حل بمحطة رحل إلى أخرى.
- الإمامة سلوك وعمل.
- المراقبة الذاتية النابعة من استشعار المراقبة الإلهية هي التي صاغت السلوك النبوي الشريف النبيل.
- التواصي على عمل الخير في منظور المجموع من أعمال الفضلاء.
- المال عارية مستردة.
- ذكر الدار الآخرة من أعمال مرتبة المراقبة.

ج- عن أنس – رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أفّ، ولا: لمَ صنعت؟ ولا: ألا صنعت.[2]

قال ابن الملقن: "هذا الأثر يكشف عظيم سجايا النبي ﷺ، ومنها السخاء التي هي من كريم الخلال، وعظيم الصفات".[3]

وقال البغوي: "الحكمة في عدم اعتراضه ﷺ تكمن في كونه مشغولاً بتحمل الأحوال لا بتغييرها، ولهذا فإن الجن لا يعترضون على الخلق لأنهم يعلمون أن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى".[4]

وقال ابن عثيمين: "لم يتضجر النبي ﷺ عشر سنوات من خدمة أنس – رضي الله عنه – ولم يقل له حتى كلمة أف، مع كون أنس خادماً، لذلك يستفاد من الأثر أن نأخذ من الناس ما

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ج2، ص463.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب / باب حسن الخلق وما يكره من البخل، تحقيق: محمد الناصر، ج8، ص14، رقم الحديث 6038.

(3) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ج28، ص353.

(4) شرح مصابيح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: جماعة من العلماء، ج6، ص228.

تيسر، فلن يكون لك الناس في كل شئ على ما تريد".[1]

ثانياً – مراقبة الصحابة الميامين – رضي الله عنهم:

إن الصحابة – رضي الله عنهم – استشعروا رقابة الله تعالى عليهم، فانعكس ذلك على سلوكهم، ومنهج حياتهم، فكانوا أئمة في مرتبة المراقبة، وسنتعرف في الصفحات التالية لبعض السير المشرقة لعدد منهم:

أ- مراقبة أبو بكر الصديق:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشئ فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحسنُ الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شئ في بطنه".[2]

قال القسطلاني: "قوله (قاء) معناه استفرغ كل ما في معدته من طعام، والسبب هو النهي عن حلوان الكاهن الذي يخبر كذباً ما في الغيب، ولأن الرزق الذي يأتي بطريق الخداع حرام".[3]

وقال القاري: "أدخل أبو بكر يده في فمه للورع، ونقل عن ابن الملك أن الشافعي استنبط من الرواية: أن كل مكلف علم أن ما أكله حرام، وحجب عليه التقيؤ فوراً".[4]

يتضح مما سبق أن من فوائد الأثر المروي:

- استشعار مراقبة الله انعكس على سلوك الصديق – رضي الله عنه.
- التحري في طلب الحلال من سمات الصادقين.

ب- مراقبة أبي محجن الثقفي:

أسلم – رضي الله عنه – سنة تسع في رمضان، وكان بعد إسلامه يعاقر الخمر، وجلده

---

(1) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج3، ص561.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق / باب أيام الجاهلية، تحقيق: محمد الناصر، ج5، ص43، رقم 3842.

(3) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج6، ص179.

(4) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، ج5، ص1906.

عمر – رضي الله عنه – سبعاً أو ثمانياً، وامر بنفيه إلى إحدى جزائر البحور، وأرسل معه مرافقاً يرقبه، إلا أنه أفلت منه، والتحق بجيش القادسية، مع سعد بن أبي وقاص، فكتب عمر إلى سعد ليحبسه فحبسه، فلما اشتد القتال، عاهد أبو محجن زوج سعد أن تحل قيوده وتعطيه فرس سعد (البلقاء) ليقاتل مع المسلمين، فإن استشهد فلا مسئولية عليه، وإن سلم رجع إلى سجنه وقيده، فأبت.[1]

يقول ابن قدامة في كتابه (التوابين): فرجع يرسف في قيوده ويقول:[2]

كفى حزنا أن تَردي الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا عليّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغُلقت ... مصاريع دوني قد تَصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركوني واحدا لا أخا لي
ولله عهد لا أخيس بعهده ... لإن فرجت ألا أزور الحوانيا*

ثم إنها رقّت لحاله، وأعطته فرس سعد وحلت القيود، فلحق بالجيش، وكان يضرب ذات اليمين وذات الشمال، حتى فتح الله للمسلمين، وعاد وربط نفسه في القيد.[3]

والسؤال: لماذا انتقل أبو محجن من معاقرة الخمر إلى الضرب بالسيف؟

إن النفس اللوامة قد تحركت بين جنبي أبي محجن، وابصر بنور المراقبة البون الشاسع بين معاقرة الخمور وضرب السيوف في وقت اشتد فيه القتال على جموع المسلمين، وقد أثمر هذا الفهم في سلوك استشعر صاحبه أن الله تعالى يراقبه، وأن عليه أن يقدم أفضل ما عنده، وأن يعطي الأنفَس والأثمَن في سبيل الله، حتى لو كلفه ذلك حياته.

ج- مراقبة أبي لبابة:

قال سبحانه وتعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**

---

(1) أسد الغابة، ابن الأثير، ج5، ص276.

(2) يُنظَر: التوابين، ج1، ص83.

* أماكن شرب الخمور، ومفردها حانية.

(3) أسد الغابة، ابن الأثير، ج5، ص276.

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {الأنفال:27}.

سبب النزول:

قال ابن كثير: "نزلت في أبي لبابة بن عبدالمنذر، عندما أرسله النبي ﷺ إلى يهود بني قريظة، وذلك للنزول على حكم النبي ﷺ، فلما استشاره اليهود، اشار بيده إلى الحلق، بمعنى الذبح، ففهم ابو لبابة من الإشارة أنه خان الله ورسوله، فأقسم ألا يذوق الطعام حتى يموت، أو يقبل الله توبته، فذهب إلى المسجد النبوي، وربط نفسه في سارية من سواريه، وبقي على هذا الحال تسعة أيام، وكان يسقط مغمى عليه من الجَهد، حتى أنزل الله توبته على نبيه، فحلّ ﷺ وثاقه، فلما أخبر النبي ﷺ بعزمه نَذر كل ما له صدقة، فأجابه ﷺ أنه يكفيه الثلث".[1]

من فوائد القصة:

- الشعور بمراقبة الله، دفع أبو لبابة إلى الإحساس بخطورة الذنب.[2]
- سلوك أبو لبابة صورة تطبيقية للاعتراف بالذنب، والمسارعة إلى العقوبة الذاتية، دون انتظار المساءلة ومن ثم إيقاع العقوبة.[3]
- لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.
- التائب في مقام عظيم بدليل قبول التوبة.
- لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة من الاستغفار.
- كشف أسرار المسلمين الحربية وغيرها من الخيانة، والواجب كتمانها.

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني، ج2، ص98.

(2) لمحات في الثقافة الإسلامية، الخطيب، ج1، ص260.

(3) السيرة النبوية، الصلابي، ج1، ص617.

المطلب الثالث

مراقبــة الصــالـحين

يجدر بالمسلم أخذ العبر من خلال ما تزخر به قصص الصالحين الواردة في التراث الإسلامي على مر العصور، وسوف يتطرق البحث في الصفحات التالية لبعض منها على النحو التالي:

أ- مراقبة الأعمى:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر – شك إسحق إلا في الأبرص أو الأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر – قال: فأعطي ناقة عُشراءَ، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري فأُبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةَ والداً فأنتج هذان وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك؟ ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفر فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت**

ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك).[1]

من فوائد الحديث:

- من استشعار مراقبة الله للنفس الاعتراف بشكر النعم.
- فضل الصدقة، والتحذير من كفر النعم.[2]
- موقف الأعمى جسّد روح المراقبة الذاتية.

ب- مراقبة أصحاب الغار:

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً - أي لا أقدم في الشرب قبلهما أحداً - فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم ارح عليهما حتى ناما، فجلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما - أي يصحون من الجوع - فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه، فقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ - وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بين وبين نفسها ففعلت، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج، وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أُجَرَاء وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدّ إليّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستقاه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج4، 2275، رقم الحديث 2964.

(2) تطريز رياض الصالحين، بن حمد، تحقيق: عبدالعزيز حمد، ج1، ص64.

فخرجوا يمشون).[1]

من فوائد الحديث:

- الحديث ينطق صراحة بأهمية التوبة المجتمعية، لأن اقل الجمع في اللغة ثلاثة.
- التنادي إلى التكامل في العمل الصالح لا يقل أهمية عن التكامل الاقتصادي.
- بر الوالدين أصل كل خير وينبوع الطاعات.
- سلوك الغنى حرب على الفقر، ينبغي على أغنياء الأمة أن يحتذوه.[2]
- يتضح مما سبق أن الثلاثة كانوا أئمة في المراقبة الذاتية، وهو سبب خلاصهم.
- من تعرف على الله في الرخاء تعرف الله عليه في الشدة.
- روعة العفة.[3]
- اعتقاد التقصير الدائم في العمل الصالح.
- إيثار الآباء على الأبناء في الخدمة.[4]

ج- عروة بن الزبير:

قال ابن خلكان: "هو أحد فقهاء المدينة السبعة، وأصابته الآكلة (التسمم) في رجله، فعرض عليه الجزار شرب الخمر حتى لا يشعر بالآلام، فرفض الاستعانة بالحرام على ما يرجو من عافية، فلما وضع المنشار وبترت الساق كان يكبّر ويهلل، ثم غُشي عليه، وعندما أفاق دعا بالساق فقبلها وقال: والذي حملني عليك ما مشيت بك إلى معصية قط، ودخل أحد أبناء عروة إلى اسطبل الخيول، فقتلته إحدى الخيول، فقال عروة: يا رب كان لي اربعة أطراف، أخذت إحداها

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة / باب الإجارة من العصر إلى الليل، تحقيق: محمد الناصر، ج10، ص415، رقم الحديث 3277.

(2) من مقال بعنوان: رؤى في أحاديث القصص – قصة أصحاب الغار، عبداللطيف البريجاوي، موقع صيد الفوائد على الرابط: http://www.assaid.net .

(3) موقع منتدى نصرة رسول الله، على الرابط: www.montada.rasoulallah.net .

(4) موقع نداء الإيمان، على الرابط: www.al-eman.com .

وأبقيت ثلاثة، يا رب لك الحمد، ووالله إن الذي أخذت أبقيت، ولئن اختبرت فلطالما عافيت".[1]

والسؤال: كيف استطاع عروة التعامل مع هذا الابتلاء؟

يتضح مما سبق أن هناك علاقة إيمانية وثيقة كانت بين عروة وبين الله – عز وجل – تمثلت بانصهار قلب عروة في بوتقة المراقبة التي هي أعلى مراتب الإيمان.

إن الطريق إلى الجنة محفوف بالمخاطر والمكاره، وإن الجنة تتزين لأهل الصبر والبلوى، وأهل الصبر موعودون بنصر الله في دار الدنيا والآخرة، وهذا وعد الله ولا يخلف الله وعده لعباده الصالحين.

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحساس عباس، ج3، ص256–257.

المبحث الرابع
عقوبات تـرك المراقبـة

لا شك أن الإعراض عن المراقبة وتركها بالكلية، يؤدي إلى ارتكاب المعاصي، وقد ذكر القرآن الكريم أحوال الأقوام السابقة التي أعرضت عن مراقبة الله سبحانه وتعالى، حتى تكون لنا موعظة وتبصرة، ولنسير في طريق الإيمان الواضح، الذي يؤدي إلى رضوان الله سبحانه وتعالى.

المطلب الأول
عقوبة قوم لوط - عليه السلام

وإن المتأمل في حال البشر، مؤمنين وكافرين، يرى أنهم يكررون أحوال من سبقهم، فنرى الربا والسرقة والقتل ...إلخ، وهذا أمر أبرزه القرآن بصورة واضحة في القصص القرآني، قال سبحانه وتعالى: [**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**] {الزُّخرف:22-23}.

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: **(لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، **قال: فمن؟!)**.[1]

وقد صنف الإمام الذهبي عمل قوم لوط من الكبائر،[2][3] قال سبحانه وتعالى: [**وَلُوطًا آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ**

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق / باب ما ذكر عن بني إسرائيل، تحقيق: محمد الناصر، ج4، ص169، رقم الحديث 3456.

(2) الكبائر، الذهبي، ج1، ص55.

(3) يرى الباحث أن يُشار إلى هذا الفعل القبيح باسم (عمل قوم لوط)، وليس (اللواط) كما اشتهر، وذلك تأدباً مع نبي الله لوط عليه السلام.

فَاسِقِينَ] {الأنبياء:74}.

يقول الشوكاني: "لوط – عليه السلام – هو ابن أخي سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وقد وصف القرآن قريته (سدوم)[1] بوصف أهلها الخبائث وأهمها: الشذوذ الجنسي ...".[2]

وفي الحديث النبوي الشريف قال النبي ﷺ: **(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)**.[3]

والسؤال: لماذا اختار الشرع قتل الفاعل والمفعول به؟

- إن من شأن هذا الفعل القبيح تدمير المجتمع.
- من فظائع هذا الجرم: الخروج السافر عن الفطرة الإنسانية.
- انتشار الأمراض الخطيرة، منها: مرض نقص المناعة.
- التمرّد على أحكام الله تعالى.
- نشأة الأجيال على التخنث، وتشبه الرجال بالنساء.
- إن الحدود وُضعت لدرء المفاسد، وأي مفسدة أعظم جرماً من هذا العمل الخبيث؟

فماذا كانت عقوبة قوم لوط عليه السلام؟

قال سبحانه وتعالى: **[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ]** {هود:82-83}.

يقول البغوي: "أمر الله – عز وجل – جبريل عليه السلام فأدخل جناحه في قرى لوط الخمس، وفيها مئات الآلاف، فرفع القرى كلها حتى سمع ملائكة السماء نباح الكلاب، وصياح الديكة، ثم قلب عاليها بسافلها، ثم بعث عليها حجارة من الطين المتتابع، وكانت مميزة معلّمة، وقد كُتب على كل حجر اسم من رُمي به، وإن هذه الحجارة ليست ببعيدة عمن ظلم وأساء كقوم

---

(1) سدوم: قرية تقع شرق الأردن، يُنظَر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج7، ص343، لكن الباحث يرى أنها القرية المشهورة في موضع البحر الميت حالياً، يُنظَر: موقع Wikipedia .

(2) فتح القدير، الشوكاني، ج3، ص492.

(3) الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج1، ص1154، قال الالباني: صحيح.

لوط".[1]

من فوائد القصة:

- التهديد الشديد والوعيد الأكيد لكل من فعل هذه الجريمة البشعة.
- العذاب الذي حل بقوم لوط ليس مختصاً بهم.
- من بخل على نفسه بالطاعات وأعرض عن نور الهداية، سلب نور المراقبة المؤدي إلى رضوان الله تعالى.[2]
- الجزاء من جنس العمل، لما قلبوا فطرة الله، قلب الله عليهم قراهم.

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ج2، ص161، (بتصرف يسير).

(2) منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير، عبدالرحمن عبدالله.

المطلب الثاني
عقوبـة فرعـون وجنـده

يتطرق البحث في الصفحات التالية إلى نموذج جديد ممن أعرض عن المراقبة وولغ في الشهوات حتى استمرأ الكفر والفجور، واستخف بشعبه حتى دانوا له بالطاعة وأصبحوا لا يرون إلا ما يرى، وإن كان ما يرى هو الكفر ذاته.

ففي زمن استغلظ فيه عود الطغيان واستقوى، ولعبت الشهوات والأطماع بالرؤوس، اختار أهل السلطان فرعون ليكون إماماً لهم، فتمثلوا بسلوكه بقتل الأبرياء، وتفننوا في تعذيبهم كما فرعون الذي وصفه القرآن بقوله: **[وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ]** {الفجر:10}.

والسؤال: ما الذي جعل فرعون يطغى؟

إن فرعون لم يكن ليعلو في الأرض لولا بطانة السوء المحيطة به، قال تعالى: **[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ]** {القصص:38}.

وقال جل شأنه: **[وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ]** {العنكبوت:39}.

هذه البِطانة المكونة من الحاكم الظالم هامان، وصاحب المال قارون، شجعت فرعون على التحكم بمصير الشعب الذي يحكمه.[1]

وسائل فرعون في الطغيان:

1- تكميم الأفواه:

قال تعالى: **[وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ]** {يونس:87}.

يقول النسفي: "تظهر الآية الكريمة توجيه موسى وهارون – عليهما السلام – لقومهما أن يتخذوا بيوتهم مرجعاً للعبادة، وان يجعلوا قبلتهم تجاه الكعبة، وكان الأمر بالصلاة في البيوت

---

(1) الطغيان في القرآن – فرعون أنموذجاً، رسالة ماجستير، ص31، بشير عبد.

خوفاً من بطش فرعون وأعوانه، حتى لا يفتنوهم ويردوهم عن دينهم".[1]

إن فرعون أثار الرعب في قلوب بني إسرائيل فمنعهم حتى إظهار شعائر العبادة، وهذا من أكبر الدلائل على إخراس كلمة الحق، والصدع به، والمجاهرة بإعلاء راية الدين، وإن من أكبر الشواهد على ذلك التمثيل بالسحرة، كما قال تعالى: **[قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى]** {طه:71}.

2- **التعذيب بالقتل:**

قال تعالى: **[وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ]** {البقرة:49}.

قال القرطبي: "رأى فرعون في منامه ناراً تخرج من بيت المقدس فتحرق مساكن مصر، فكان تعبير رؤياه أن مولوداً ذكراً يولد في بني إسرائيل فيصير دمار مُلك فرعون على يديه، فاستمر قتل الصبيان وأبقى البنات على قيد الحياة".[2]

والسؤال: كيف كان فرعون يعذب شعبه وخصومه؟

قال تعالى: **[وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ]** {الفجر:10}.

قال ابن كثير: "كان يوثق الرجل في الأوتاد، ثم يرميه بصخرة عظيمة فتقتله في الحال".[3]

ولكن: كيف كانت خاتمة فرعون بعد كل هذا الطغيان؟

قال سبحانه وتعالى: **[وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ * آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ * فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ**

---

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بربوي، ج2، ص37.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ج1، ص386-387.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق، سامي سلامة، ج8، ص397.

خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ] {يونس:90-92}.

والسؤال: لماذا أبقى الله تعالى جثمان فرعون رغم طغيانه؟

يتضح مما سبق أن الشخصية الفرعونية موجودة في كل زمان، لذلك أراد الله – تعالى – بحكمته، أن تبقى العبرة في حال فرعون موعظة لكل عاقل يسمع كلام الله تعالى.

إن تجفيف منابع الفرعنة بأيدي الشعوب وعلمائهم من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووعظ الحاكم أن الله تعالى يراقبه في الدنيا، وسيقف بين يديه في الدار الآخرة.[1]

(1) الطغيان في القرآن – فرعون أنموذجاً، رسالة ماجستير، بشير عبد.

المطلب الثالث

عقوبـة أصحـاب الأخدود

سطر القرآن الكريم قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج، فقال سبحانه وتعالى: **[قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ]** {البروج:4-10}.

يقول سيد قطب: "سورة البروج تتحدث عن القضية المركزية وهي قصة أصحاب الأخدود، وهي قصة العقيدة لفئة مؤمنة ابتليت بحكام ظلمة، أرادوا إجبار المؤمنين على الارتداد عن دينهم، فلما رفض أهل الإيمان، شق لهم الظلمة حفراً في الأرض، وسعّروا فيها النار، وأردوا المؤمنين فيها ليموتوا حرقاً أمام أعين جموع المتسلطين.

وتعرض الآيات مشهداً مفجعاً مؤلماً في لمحات خاطفة تودع المشاعر بشاعة بلا تطويل، مع إعلان الغضب الإلهي على أصحاب الأخدود في قوله: **[قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ]** {البروج:4}، والآية تدل على بشاعة الجرم الذي يثير غضب الحليم ووعيده بالقتل لمرتكبيه، ثم يأتي معنى الأخدود في قوله **[النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ]** {البروج:5}، ومعنى الأخدود: الشق في الأرض، وكان أصحابه قد حفروه وأشعلوه ناراً ملتهبة حتى صارت صفة لذلك الأخدود، وفي قوله تعالى: **[إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ]** {البروج:6}، مشهد يعبر عن عملية تعذيب بشعة، والأدهى من ذلك أنهم قريبون يشاهدون أطوار التعذيب وفعل النار في لذة وسُعار.

والسؤال: ما هو السر الكامن وراء هذا الفعل الشنيع؟

لم يكن للمؤمنين ذنب ولا ارتكبوا جريمة سوى إيمانهم بالله العزيز القادر على ما يريد، والحميد المستحق للحمد في كل حال، وهو الحقيق بالإيمان والعبودية له، ثم هو الشهيد على المؤمنين وأمر أصحاب الأخدود، وهي لمسة تطمئن أصحاب القلوب المؤمنة في كل زمان ومكان.

والسؤال: كيف كانت خاتمة أصحاب الأخدود؟

استحق أصحاب الأخدود غضب الله تعالى، ونقمته، لبشاعة فعلتهم، فاستحقوا العذاب كما يتجلى في قوله جل شأنه: **[إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ**

جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ] {البروج:10}، فهؤلاء وأمثالهم لهم سوء الحساب يوم القيامة، أما أهل الإيمان فقد أثبتوا روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المجرد من أوهاق الجسم وجاذبية الأرض، ولقد كان في مكنة المؤمنين النجاة بحياتهم مقابل الهزيمة لإيمانهم، لكنهم أحيوا مبادئ راسخة تضمنتها معاني عظيمة، وهي أن الحياة لا تساوي شيئاً بلا عقدة، وهي بشعة بلا حرية، بل وانحطاطها حين يسيطر الظلمة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد، إنه معنى كبير فازوا به وهم أحياء على الأرض، وظفروا به وهم يجدون مس النار تحرق أجسادهم".[1]

والسؤال: ماذا يستفيد المسلم المعاصر من قصة أصحاب الأخدود؟

- إعلاء راية الإيمان والعقيدة.
- إنكار الذات مهما عظمت التضحيات، فلم يرد أسماء أصحاب الأخدود لا في القرآن ولا في السنة، إذ المقصود الأفعال لا الأشخاص.
- حكام ذلك الزمان كانوا في بعد عن الإيمان، فاستحقوا اللعنة من الله تعالى في قوله: **[قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ]** {البروج:4}.
- سورة البروج مكية، وهي فترة من أصعب فترات الامتحان للدعوة، حيث كثر فيها التعذيب، فجاءت تسلية لقلب النبي ﷺ واصحابه رضي الله عنهم.
- لما صبر أهل الإيمان على التعذيب خلد الله ذكرهم في القرآن إلى يوم القيامة.
- أن الصبر على عذاب الحياة الدنيا وابتلاءها يجلو القلوب وينيرها بنور المراقبة.

---

(1) يُنظَر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص7831-7834، (بتصرف).

المطلب الرابع
عقوبـة قـوم ثمـود

إن الإنكار والجحود بنعم الله هو علامة خذلان، وإشارة ضياع في حقق الأمم، وهو علامة فارقة تؤكد وتجسد انعدام المراقبة في حياة الأمم والحضارات، وقد ذكر القرآن الكريم جملة من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والقصص القرآني يهدف إلى غرس القيم والفضائل، وتحريك المشاعر الإيمانية، كما يهدف إلى استنباط الموعظة وتلقي العبرة من الأقوام السابقة، حتى نسير في طريق الإيمان المفضي إلى رضوان الله تعالى، ومن بين هذا القصص قصة قوم ثمود مع النبي صالح عليه السلام، حيث سنتعرض في الصفحات التالية إلى موقف ثمود من دعوة نبيل الله صالح عليه السلام.

قال سبحانه وتعالى: **[كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ]** {الشعراء:141-142}.

قال السعدي: "ثمود القبيلة المشهورة، سكنت في مدائن الحجر، كذبوا بنبيهم صالح – عليه السلام –، الذي دعا إلى التوحيد، فنادى عليهم متلطفاً برسالته، فأنتم يا قومي تعلمون أني أمين، مما يوجب عليكم الإذعان لدعوتي".[1]

والسؤال: ماذا طلب قوم ثمود من نبيهم ليعجزّوه؟

قال سبحانه وتعالى: **[إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ]** {القمر:27}.

يقول ابن عاشور: "لما أنكر قوم ثمود دعوة صالح، أخرج الله سبحانه وتعالى لهم ناقة من الصخرة، وهي معجزة من خوارق العادات، لمساندة الأنبياء والمرسلين، وتعزيز دعوتهم".[2]

والسؤال: كيف تعامل قوم ثمود مع المعجزة الإلهية المتمثلة بالناقة؟

قال سبحانه وتعالى: **[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا]** {الشمس:11-14}.

قال الرازي: "قابلت ثمود دعوة صالح بالتكذيب، حيث قام أشقاهم وهو قدارين سالف، على

---

(1) تفسير السعدي، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ج1، ص596.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6، ص3871.

الرغم من تحذير صالح لهم، بعدم المساس بالناقة فقتل الناقة".[1]

وأخيراً: ما هو مصير ثمود؟

قال سبحانه وتعالى: **[فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ]** {هود:65-67}.

جاء في زهرة التفاسير: "لما استخف قوم ثمود بدعوة نبيهم صالح، وقاموا بقتل الناقة، فناداهم صالح: امكثوا في مساكنكم ثلاثة أيام، وذلك ليعيشوا مع فعلتهم هذه المدة القصيرة، ثم عزز هذا القول بأنه وعد أكيد متحقق من رب العالمين، فلما جاء وعد الله نجى الله نبيه والمؤمنين معه، وعذب قوم ثمود بالرجفة، والظاهر أنها صاعقة هزت الأرض وأذهبت عقولهم وسلبت ارواحهم ثم سقطوا منكسين".[2]

فوائد وعبر مستفادة من قصة ثمود:

- الإيمان منجاة، والشرك هلاك.
- لما أعرض قوم ثمود عن نور الإيمان جوزوا.
- مراقبة صالح – عليه السلام – لقومه وصبره على أذاهم، مدعاة لكل داعية لكي يصبر في دعوته.

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج31، ص179.

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج7، ص3727.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المخلوقات محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم طي الأرض والسماوات، وبعد:

أولاً – نتائج البحث:

1- أوضح البحث نظائر المراقبة كمرادفات لها.

2- نظائر المراقبة يحتاج كل لفظ منها إلى بحوث مستفيضة ومستقلة.

3- أوضح البحث أن استقراء ألفاظ المراقبة ونظائرها في القرآن الكريم له رهبة ولوقعه في الصدور هيبة، ولمدلولات القرآن قداسة لأصحاب القلوب الحية النابضة باستشعار مراقبة الله تعالى لها.

4- أشار البحث إلى أهمية المراقبة في العبادات في العبادات والمعاملات، وتأثيرها المباشر على حياة المسلم التعبدية.

5- إن إتقان العمل وإجادته وجه من وجوه المراقبة المؤدية إلى رضوان الله تعالى.

6- وجوب استحضار مراقبة الله تعالى في كل مكان يتواجد فيه المسلم.

7- إن سلوك المؤمن يتحدد ويرتقي من خلال فهمه لمعنى استشعار مراقبة الله تعالى له.

8- حقق النبي ﷺ أعلى درجات مراقبة الله تعالى في السلوك والقول والعمل، وكان إماماً وقدوة في هذه المنزلة الإيمانية.

9- جسد الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أروع المُثُل لأجمل صور المراقبة.

10- أظهر الصحابة – رضي الله عنهم – أرقى وأبهى مظاهر الرقابة، وغرسوا في قلوب من جاء بعدهم هذا الفهم.

11- بيّن السلف الصالح معنى المراقبة بالأقوال والأفعال، حيث ضربوا أروع الأمثلة في ذلك.

12- السلوك المنحرف والمُعرض عن منزلة المراقبة في القرآن الكريم، جاء لتحذير الخلف حتى تستشعر القلوب وتفهم العقول عظمة مراقبة الله تعالى للفرد والجماعة.

13- إن من فقه الإقبال على الله تعالى الاستعداد بالعمل الصالح، والتزود بأعلى مراتب الإيمان.

14- الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى استشعار مراقبة الله تعالى على صعيد الفرد والجماعة،

حتى تعود إلى مقدمة القافلة وتقود الأمم.

15- أوضح البحث أهمية مراقبة العبد لنفسه من خلال المراقبة الذاتية المنبثقة عن تعظيم المسلم لله تعالى له في السر والعلن.

16- إن الإغضاء عن توافه الأمور هو ثمرة فهم العبد لمعنى المراقبة من خلال مخالطته للمسلمين.

17- أبرز البحث أهمية مطابقة السلوك للعبادة من خلال فهم الفرد المسلم لمنزلة المراقبة.

ثانياً – أهم التوصيات والمقترحات:

1- أوصي نفسي كما أوصي الدعاة وطلبة العلم الشرعي بتقوى الله تعالى والثبات على طاعته، والعمل بما أمر، والابتعاد عما نهى سبحانه وتعالى.

2- أوصي الباحثين بالإقبال على طلب العلم الشرعي والسعي الحثيث في نشره، فهو أنفع العلوم في الدنيا والآخرة.

3- إن صاحب الدين والإيمان العميق بالله تعالى، يجب أن يصبر أمام الابتلاءات والشدائد والمحن.

4- التفسير الموضوعي جنة من جنات القرآن الكريم، لا يمل صاحبه بحثاً ولا تنقيباً، فأدعو طلبة العلم الشرعي إلى البحث والتنقيب عما ينفع الأمة الإسلامية.

5- الحرص على التزود بما ينفع المسلم في دار الدنيا ودار الآخرة.

6- أوصي بتدريب مرتبة المراقبة في المناهج الدراسية في مختلف المراحل الدراسية.

7- أوصي المؤسسات الحكومية والحركية ومؤسسات المجتمع المدني بتفعيل لجان المراقبة، واعطائها صلاحيات وأسس للقيام بدورها المطلوب.

وفي الختام حسبي هذا جهد المقل، فأسأله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن ينفعني به في دار الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

المراجع العربية:

1- إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

2- التوابين، موفق الدين عبدالله بن قدامة، ط1، دار ابن حزم، (د.م)، 1424هـ.

3- أثر الصيام في تربية الإنسان، فاطمة شوكت العليان، (د.ط)، دار العليان للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ت).

4- الأحكام السلطانية، علي بن محمد الماوردي، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

5- إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

6- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ.

7- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، ط7، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1323هـ.

8- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ.

9- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، ، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 2001م.

10- الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، ط3، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1416هـ.

11- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، ومحمد الزيبق، ط3، دار الاعتصام، القاهرة – مصر، 1979م.

12- أسد الغابة، علي بن محمد ابن الأثير، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1409هـ.

13- أسرار الصوم، محمد الغزالي، تحقيق: ماهر المنجد، (د.ط)، دار الفكر المعاصر، دمشق – سوريا، 1996م.

14- أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، محمود الرضواني، (د.ط)، كلية الشريعة

وأصول الدين، جامعة الملك فهد، السعودية، (د.ت).

15- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ط1، دار الجيل، بيروت، 1417هـ.

16- اشتقاق أسماء الله الحسنى، عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي، تحقيق: عبدالحسين المبارك، ط2، مؤسسة الرسالة، 1986م.

17- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت، عبدالرحمن النحلاوي، (د.ط)، دار الفكر، 1979م.

18- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – سوريا، 1415هـ.

19- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، ط2، وزارة الشئون الدينية والأوقاف، السعودية، 1422هـ.

20- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: طه سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – مصر، 1388هـ.

21- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

22- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

23- الأمن في ضوء القصص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، سامي الجدبة، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، 1433هـ.

24- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

25- أنيس الفقهاء، قاسم القونوي، تحقيق: يحيى مراد، (د.ط)، دار الكتب العلمية، 2004م.

26- الإيمان، محمد نعيم ياسين، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

27- بحر العلوم، ناصر بن محمد السمرقندي، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

28- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، (د.ط)،

دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

29- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: صدقي جميل، ، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

30- البحر المريد في تفسير القرآن المجيد، أحمد الأنجري، تحقيق: أحمد رسلان، (د.ط)، نشر: حسن عباس زكي، القاهرة، (د.ت).

31- تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، يحيى بن عون ابن معين، ط1، تحقيق: أحمد سيف، مركز البحث العلمي، مكة، 1399هـ.

32- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، (د.ط)، دار المعارف الثقافية، حيدر آباد، الدكن، (د.ت).

33- تأملات قرآنية، المغامسي، دروس صوتية على الشبكة العنكبوتية، الموقع www.Islamweb.net، الدرس رقم 27.

34- التحبير لإيضاح معاني التيسير، محمد الحسني، تحقيق: محمد حلاق، ط1، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، 1433هـ.

35- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (د.ط)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

36- الترغيب والترهيب، أحمد بن محمد الاصبهاني، تحقيق: ايمن شعبان، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1414هـ.

37- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي، تحقيق: عبدالله الخالدي، ط1، دار الأرقم، بيروت، (د.ت).

38- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز بن حمد، تحقيق: عبدالعزيز حمد، ط1، دار العاصمة للنشر، الرياض، 1423هـ.

39- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان البركتي، ط1، دار الكتب العلمية، باكستان، 1424هـ.

40- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1403هـ.

41- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة،، (د.ط)، دار عالم الكتب

للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان، 1996م.

42- تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، العدد 112، السنة 33، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1421هـ.

43- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

44- تفسير السعدي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، القاهرة – مصر، 1420هـ.

45- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (د.ط)، أخبار اليوم،، القاهرة – مصر، 1991م.

46- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (د.م)، 1420هـ.

47- تفسير الماتريدي، محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي با سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

48- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (د.ط)، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (د.ت).

49- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ.

50- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي الاستنابولي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، (د.ت).

51- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

52- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، عمر بن علي بن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر، دمشق – سوريا، 1429هـ.

53- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، طبعة عبدالخالق ثروت، 1410هـ.

54- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: احمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ.

55- الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، المكتب الإسلامي، (د.م)، (د.ت).

56- جامع العلوم والحكم، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعب الأرنأووط، وإبراهيم

باجس، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ.

57- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، (د.ط)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د.ت).

58- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ط1، دار عالم الكتب، الرياض – السعودية، 1423هـ.

59- حجة القراءات، عبدالرحمن ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، (د.ط)، دار الرسالة، (د.م)، (د.ت).

60- الحجة في القراءات السبع، عبدالله الحسين بن خالويه، تحقيق: عبدالعال مكرم، ط4، دار الشروق، بيروت، 1401هـ.

61- الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط1، دار القلم، دمشق، 1425هـ.

62- حقوق الحاكم بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الدستورية، رسالة ماجستير غير منشورة، ماهر السوسي، (د.ط)، الجامعة الأردنية، 1411هـ.

63- الخوف والرجاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، سهاد دولة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، (د.ط)، (د.ت).

64- الداء والدواء، شمسن الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد الاصلاحي، ط1، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 1429هـ.

65- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، (د.ط)، دار القلم، دمشق، (د.ت).

66- دروس للشيخ محمد المنجد، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

67- دروس وعبر من صحيح القصص النبوي، شحاتة صقر، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

68- الذكر والذاكرون، رسالة ماجستير غير منشورة، أيام عبدالناصر خلة، (د.ط)، الجامعة

الإسلامية، غزة – فلسطين، 2014م.

69- الرحيق المختوم، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ط1، دار الهلال، بيروت، (د.ت).

70- الرسالة العرشية، عبدالحليم ابن تيمية، ط1، المطبعة السلفية، القاهرة – مصر، 1399هـ.

71- رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ط3، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر، 1984م.

72- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ط4، مكتبة الفلاح للنشر، الكويت، 1410هـ.

73- رفع الحرج والضيق في سيرة أبي بكر الصديق، علي الصلابي، (د.ط)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، 1423هـ.

74- روح المعاني، شهاب الدين محمد الألوسي، تحقيق: علي عطية، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

75- رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت).

76- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1987م.

77- الزهد، أحمد بن حنبل، تحقيق: يحيى سوسي، ط2، دار ابن رجب، (د.م)، 2003م.

78- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (د.ط)، دار الفكر العربي، (د.م)، (د.ت).

79- السلسلة الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، مكتبة المعارف، الرياض، (د.ت).

80- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط2، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1395هـ.

81- السهل في العقيدة، زكريا شحادة، ط1، مكتبة منصور، غزة – فلسطين، 1437هـ.

82- السيرة النبوية، جمال الدين بن عبدالملك بن هشام، تحقيق: طه سعد، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ.

83- السيرة النبوية، علي الصلابي، ط7، دار المعرفة للنشر، بيروت – لبنان، 1429هـ.

84- سيرة عمر بن عبدالعزيز، عبدالله بن عبدالحكم بن رافع، تحقيق: أحمد عبيد، ط6، عالم الكتب، بيروت – لبنان، 1404هـ.

85- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، (د.ط)، مطابع سفير،

الرياض، (د.ت).

86- شرح أسماء الله الحسنى، فخر الدين الرازي، دار الكتاب العربي، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

87- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد الغامدي، ط8، دار طيبة، السعودية، 2003م.

88- شرح الأربعين النووية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

89- شرح الأربعين النووية، عطية سالم، (د.ط)، على الرابط: www.Islamweb.net .

90- شرح الأربعين النووية، محمد بن عبدالله بن وهب بن دقيق العبد، ط6، مؤسسة الريان، (د.م)، 1424هـ.

91- شرح الأربعين النووية، محمد بن عبدالله بن وهب بن دقيق العيد، ط6، مؤسسة الريان، 2003م.

92- شرح الأربعين النووية، محمد صالح بن عثيمين، (د.ط)، دار الثريا للنشر، (د.ت).

93- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وزهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1403هـ.

94- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق: أحمد شاكر، (د.ط)، وكالة الطباعة والترجمة، (د.م)، (د.ت).

95- شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.

96- شرح رياض الصالحين، محمد صالح بن عثيمين، (د.ط)، دار الوطن للنشر، الرياض، 1212هـ.

97- شرح رياض الصالحين، محمد صالح بن عثيمين، (د.ط)، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.

98- شرح سنن ابن ماجة، جلال الدين السيوطي، (د.ط)، قديمي كتب خانة، كراتشي، (د.ت).

99- شرح صحيح البخاري لابن بطال، علي بن خلف بن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، 1423هـ.

100- شرح كتاب الصيام من زاد المستنفع، عبدالكريم خضير، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

101- شرح مصابيح السنة، محمد الكرماني، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، إدارة الثقافة

الإسلامية، (د.م)، 1433هـ.

102- شرح منهاج صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.

103- صحيح ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

104- صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط4، دار الصديق للنشر والتوزيع، (د.م)، 1418هـ.

105- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، دار طوق النجاة، (د.م)، 1422هـ.

106- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ.

107- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، المكتب الإعلامي، (د.م)، (د.ت).

108- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.

109- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، المكتب الإسلامي، (د.م)، (د.ت).

110- صحيح وضعيف سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.م)، (د.ت).

111- صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، مركز نور الإسلام، الإسكندرية، (د.ت).

112- صفحات مطوية، محاضرات مفرغة غير منشورة، المقرني، (د.ط)، (د.ت)، (د.م)، (د.ن).

113- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم، حسين المهدي، (د.ط)، وزارة الثقافة، اليمن، 2009م.

114- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

115- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم العراقي، (د.ط)، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، (د.ت).

116- الطغيان في القرآن – فرعون أنموذجاً، رسالة ماجستير ، بشير عبد، كلية العلوم الإسلامية، الأنبار، العراق، 2012م.

117- العبادة المفقودة (مراقبة الله تعالى)، سعد بن سعيد الحجري، (د.ط)، دار الوطن للنشر، (د.م)، (د.ت).

118- العبودية، عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد الشاويش، ط7، المكتب الإسلامي، بيروت، 1426هـ.

119- العقائد الإسلامية، السيد سابق، (د.ط)، الفتح الإعلامي، القاهرة، (د.ت).

120- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (د.ط)، دار الكتب العلمية، 1996م.

121- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

122- غريب الحديث، القاسم بن سلام، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد – الهند، 1384هـ.

123- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

124- فتح الباري، زين الدين ان رجب، ط2، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية، 1422هـ.

125- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد الشوكاني، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

126- فتح القدير، محمد الشوكاني، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).

127- فتح القدير، محمد الشوكاني، (د.ط)، عالم الكتب، (د.م)، (د.ت).

128- فتح القدير، محمد الشوكاني، دار ابن كثير، (د.ط)، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، (د.ت).

129- فتح القدير، محمد الشوكاني، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.

130- الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن علي بن حجر، ط1، دار المنهاج، جدة – المملكة

العربية السعودية، 2008م.

131- الفروق اللغوية، الحسن بن عبدالله أبوهلال العسكري، (د.ط)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

132- فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب، الصلابي، (د.ط)، موقع المؤلف، على الرابط: www.slaaby.com ، (د.ت).

133- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، ط1، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ.

134- فقه الأسماء الحسنى، عبدالرازق البدر، (د.ط)، المعهد العالي لإعداد معلمات القرآن والسنة، جدة، (د.ت).

135- فقه الأسماء الحسنى، عبدالرازق البدر، ط1، المدينة المنورة، (د.ن)، (د.ت).

136- الفوز في القرآن الكريم – دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، مفاز داوود، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م.

137- في ظلال القرآن، سيد قطب، تحقيق: علي الشحود، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1412هـ.

138- فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور الكشميري، تحقيق: محمد الميرتهي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2005م.

139- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ.

140- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ.

141- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1426هـ.

142- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة

الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1426هـ.

143- قصص القرآن، سعد عزيز، ط2، دار الفجر للتراث، القاهرة، 1425هـ.

144- القواعد والأصول، محمد صالح بن عثيمين، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

145- الكاشف عن حقائق السنن، الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض، 1417هـ.

146- الكبائر، محمد بن أحمد الذهبي، (د.ط)، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ت).

147- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (د.ط)، تحقيق: نصرالدين تونسي، شركة القدس للتصدير، (د.ت).

148- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، (د.ط)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1974م.

149- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

150- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

151- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ.

152- الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ.

153- الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1401هـ.

154- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1402هـ.

155- اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود، وعلي معوض،

(د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419هـ.

156- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

157- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، (د.ط)، دار المعارف، مصر، 1955م.

158- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، (د.ط)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، (د.م)، (د.ت).

159- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ط5، مؤسسة الرسالة، (د.م)، 1425هـ.

160- مجلة البيان، أحمد عبدالرحمن القاضي، ع231، المنتدى الإسلامي، الرياض، (د.ت).

161- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (د.ط)، موقع الجامعة على الإنترنت: www.iu.edu.sa .

162- مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق، زهير سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ.

163- مجموع الفتاوى، عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن قاسم، (د.ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1416هـ.

164- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

165- مختار الصحاح، فخرالدين الرازي، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

166- مختار الصحاح، فخرالدين الرازي، تحقيق: لجنة من علماء العربية، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

167- مختار الصحاح، فخرالدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ حمد، ط5، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ.

168- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، 1402هـ.

169- مختصر صحيح مسلم، عبدالعظيم عبدالقوي المنذري، تحقيق: الألباني، ط6، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1407هـ.

170- مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، عباس محمد

رضوان، د.ط، مطبعة المعاهد، مصر، 1345هـ.

171- المخصص، أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: خليل جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ.

172- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن القيم، تحقيق: محمد الفقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ.

173- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ.

174- مدارج السالكين، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن القيم، تحقيق: رضوان رضوان، (د.ط)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، 1997م.

175- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ.

176- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيدالله بن محمد المباركفوري، ط3، إدارة البحوث العلمية، الهند، 1404هـ.

177- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيدالله بن محمد المباركفوري، ط3، إدارة البحوث العلمية، الجامعة السلفية، الهند، 1414هـ.

178- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1422هـ.

179- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق: مقبل هادي الوادعي، (د.ط)، القاهرة- مصر، 1997م.

180- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (د.ط)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ت).

181- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، (د.م)، 1421هـ.

182- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

183- مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

184- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط1، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

185- معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، ط1، المطبعة العلمية، حلب، 1351هـ.

186- معالم الصلاة والوضوء والجنائز من فقه السنة على المذاهب الأربعة، عبدالله عمار، (د.ط)، آفاق للطباعة والنشر، غزة – فلسطين، 2004م.

187- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، يوسف الحنفي، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

188- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

189- معجم التعريفات، محمد بن يوسف الجرجاني، (د.ط)، دار الفضيلة، (د.م)، (د.ت).

190- معجم الفروق اللغوية، الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق: بيت الله بيات، (د.ط)، مؤسسة النشر الإسلامي، (د.م)، (د.ت).

191- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبدالمنعم، (د.ط)، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

192- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، (د.م)، 1945م.

193- معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبوعمرو، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1994م.

194- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

195- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د.ط)، دار الدعوة، (د.م)، (د.ت).

196- المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، ط2، (د.ن)، القاهرة – مصر، 1972م.

197- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، (د.ط)، دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان، 1955م.

198- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، 1399هـ.

199- المغني عن حمل الأسفار، عبدالرحيم العراقي، تحقيق: اشرف عبدالمقصود، (د.ط)، مكتبة

طبرية، الرياض، 1415هـ.

200- مفاتيح الغيب، فخرالدين الرازي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

201- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، (د.ط)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ.

202- مقاصد الصوم، عبدالعزيز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد الطباع، (د.ط)، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، (د.ت).

203- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، (د.ط)، دار الفكر، (د.م)، 1399هـ.

204- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، ط1، الناشر: الجفاني والجابي، قبرص، 1407هـ-1987م.

205- من مقال بعنوان: رؤى في أحاديث القصص – قصة أصحاب الغار، عبداللطيف البريجاوي، موقع صيد الفوائد على الرابط: www.assaid.net .

206- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، (د.ط)، مكتبة دار البيان، دمشق، 1410هـ.

207- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كوثر النعسان، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، 2010م.

208- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.

209- منهج الأنبياء في تزكية النفوس، سليم الهلالي، (د.ط)، دار عنان للنشر والتوزيع، (د.م)، (د.ت).

210- منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير غير منشورة، عبدالرحمن عبدالله، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس – فلسطين، 2010م.

211- موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من العلماء، موقع الدرر السنية على رابط:

. www.dorar.net

212- موسوعة السياسة، عبدالوهاب الكيالي وآخرون، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

213- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، الكويت، 1404-1427هـ.

214- موسوعة فقه القلوب، محمد التويجري، (د.ط)، بيت الأفكار الدولية، (د.م)، (د.ت).

215- موقع أ.د. عبدالله الزبير عبدالرحمن على الرابط: www.azubair.net .

216- موقع الألوكة الشرعية، على الرابط: www.alukah.net\sharia .

217- موقع ملتقى أهل التفسير، على الرابط: https://vb.tafsir.net .

218- موقع منتدى نصرة رسول الله، على الرابط: www.montada.rasoulallah.net .

219- موقع نداء الإيمان، على الرابط: www.al-eman.com .

220- موقع ويكيبيديا Wikipedia .

221- نشر البنود على مراقي السعود، عبدالله الشنقيطي، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

222- نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (د.ت).

223- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (د.ط)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

224- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبدالرازق غالب، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

225- نيل الأوطار، محمد الشوكاني، تحقيق: عصام السبابطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1413هـ.

226- همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (د.ط)، المكتبة التوقيفية، مصر، (د.ت).

227- الوجوه والنظائر، حسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: محمد حسن أبو العزم، (د.ط)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2010م.

228- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

229- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس،

ط7، دار صادر، بيروت، 1994م.

الملاحق

الملاحق

أولاً: – فهرس الآيات القرآنية:

الآيــات	الصفحات
[إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] {مريم:96}	1
[هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] {آل عمران:163}	1، 79
[قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ...] {سبأ:46}	1
[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ] {الملك:10}	1
[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ...] {التوبة:40}	6
[آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ] {البقرة:285}	7
[لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ...] {البقرة:177}	7، 128
[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ...] {لقمان:25}	7
[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] {ق:18}	8، 20، 24، 72، 73، 77، 78
[كِرَامًا كَاتِبِينَ] {الانفطار:11}	8
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ...] {النساء:136}	8
[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ ...] {المائدة:48}	9
[... وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا] {النساء:164}	9
[إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ...] {البقرة:62}	10
[لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ] {القيامة:1}	10
[زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ...] {التغابن:7}	10
[وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ ...] {غافر:58}	10
[إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ] {غافر:59}	10
[تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {الملك:1}	11
[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] {القمر:49}	11
[اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ ...] {الرعد:8}	11
[وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ...] {النور:32}	12
[يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ...] {النساء:11}	13
[وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ...] {البقرة:283}	13، 115
[قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:92}	13
[... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي] {طه:94}	16، 20، 23
[فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ...] {القصص:18}	20، 23

الآيــات	الصفحات
[فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ...] {القصص:21}	20، 23
[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ] {الدُخان:10}	20، 23
[فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ] {الدُخان:59}	20
[... وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] {هود:93}	20، 23، 24، 81، 82
[إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ] {القمر:27}	20، 23
[كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ...] {التوبة:8}	22
[لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ] {التوبة:10}	22
[... فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ...] {المائدة:117}	22، 23، 24
[... وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا] {الأحزاب:52}	22، 24
[... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] {النساء:1}	22، 24، 46، 71، 73
[هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ] {ق:32}	29
[حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ] {البقرة:238}	29
[وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ] {المعارج:34}	29
[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ...] {الأنبياء:22}	33
[وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى] {طه:7}	33
[... وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ] {البقرة:33}	33
[يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ] {غافر:19}	33، 72
[... أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ] {العنكبوت:10}	34
[أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ...] {الزُّخرف:80}	36
[وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ ...] {فصّلت:22}	36
[مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {العنكبوت:5}	36، 105
[قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ...] {المجادلة:1}	37
[... إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا] {النساء:58}	39
[... إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] {البقرة:233}	39
[... وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ] {غافر:44}	39
[... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] {الحج:46}	40

الآيــات	الصفحات
[وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ] {القلم:4}	44
[وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ] {الشُّورى:43}	44
[... وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ] {الشُّورى:37}	44
[وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ...] {البقرة:280}	45
[أَوْفُوا الكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرِينَ] {الشعراء:181}	45
[وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ] {الشعراء:182}	45
[وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ] {الشعراء:183}	45
[وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا] {الإسراء:26}	45
[... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ...] {العنكبوت:45}	47
[وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ...] {آل عمران:180}	49
[وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] {البلد:10}	51
[... أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ...] {النساء:59}	51
[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ...] {النساء:58}	52، 59، 115
[... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...] {الزُّمر:9}	53، 86
[... يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ] {القصص:26}	54، 83
[قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ] {يوسف:55}	54
[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...] {الأحزاب:21}	55، 105، 138
[وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ ...] {البقرة:31}	58
[وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...] {النور:55}	58
[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...] {الشُّورى:13}	58
[الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...] {الحج:41}	58
[... وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا] {النساء:105}	59
[إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ...] {المائدة:44}	60، 86
[وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ...] {المائدة:45}	60
[وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ ...] {المائدة:47}	60
[وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ...] {المائدة:49}	60
[... قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ...] {البقرة:170}	61
[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ...] {النحل:43}	61

الآيــات	الصفحات
[لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ ...] {الحشر:14}	62
[وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ...] {الأنبياء:80}	63
[إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ...] {المائدة:33}	65
[... وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ...] {آل عمران:159}	68
[... وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...] {هود:7}	69
[وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ...] {النمل:88}	69
[لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ...] {الفتح:18}	69، 91، 124
[قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ...] {المائدة:119}	69، 125
[وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ...] {التوبة:100}	69
[... يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ...] {المجادلة:22}	70
[... رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ] {البيّنة:8}	70، 124
[لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ] {المدّثر:37}	70
[... اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] {فصّلت:40}	72
[إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ...] {الأنفال:43}	72
[... بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ] {الزُّخرف:80}	72
[... وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا] {النساء:134}	73
[إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى] {طه:38}	74
[أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ ...] {طه:39}	74
[... ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى] {طه:40}	74
[وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...] {آل عمران:133}	75، 128
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ...] {الحشر:18}	76
[وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ...] {البقرة:281}	76
[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ] {الانفطار:10}	78
[وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] {ق:21}	78
[... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ...] {المائدة:117}	78
[... وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ ...] {الزُّمر:69}	78
[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ] {غافر:51}	78
[يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {النور:24}	78
[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ...] {هود:112}	79، 112

الآيــات	الصفحات
[وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...] {فاطر:31}	79
[... اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] {فصّلت:40}	79، 80
[... وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] {هود:93}	81
[... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ] {سبأ:13}	82
[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ...] {التوبة:105}	82
[وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ...] {القصص:23}	82
[فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ...] {القصص:24}	82
[حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ...] {النمل:18}	84
[... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] {الحجرات:13}	84
[... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] {فاطر:28}	86، 87
[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] {ق:37}	89
[... فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] {الحديد:16}	89
[لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ...] {آل عمران:92}	89
[... وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ] {التوبة:92}	90
[لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ...] {الرعد:18}	91
[وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى ...] {الشُّورى:38}	91
[إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ...] {الأنعام:36}	91
[فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ...] {القصص:50}	92
[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ...] {طه:124}	92، 93
[قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] {طه:125}	92، 93
[قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى] {طه:126}	92، 93
[لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ...] {الرعد:18}	92
[وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا] {الإسراء:72}	93
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] {الأحزاب:41}	95
[وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] {الأحزاب:42}	95
[فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ] {البقرة:152}	95
[الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ...] {آل عمران:191}	95
[وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ] {الحجر:99}	97
[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ ...] {النحل:36}	97
[... أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ...] {الأحقاف:15}	97

الآيــات	الصفحات
[إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا] {المزمل:6}	99
[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ ...] {البقرة:155}	101، 130
[فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ...] {البقرة:182}	101
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ...] {آل عمران:130}	101
[وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ] {آل عمران:131}	101
[قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ...] {الزُّمر:53}	101
[أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ] {النَّجم:59}	102
[وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ] {النَّجم:60}	102
[فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] {النساء:41}	102
[قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ...] {آل عمران:137}	102
[هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] {آل عمران:138}	102
[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {آل عمران:139}	102
[يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ...] {النحل:111}	103
[أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...] {النساء:78}	104
[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...] {الكهف:110}	105
[إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...] {البقرة:271}	107
[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...] {غافر:60}	110
[... وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ] {الأعراف:56}	111
[إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ ...] {الأحزاب:72}	115، 117
[فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ...] {يونس:98}	119
[... وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] {النور:31}	121
[... وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] {الحجرات:11}	121
[إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] {الذاريات:15}	121
[آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ] {الذاريات:16}	121
[كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ] {الذاريات:17}	121
[وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] {الذاريات:18}	121
[وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] {الضُّحى:5}	125، 126
[الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ ...] {آل عمران:134}	128
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ ...] {آل عمران:200}	129

الآيــات	الصفحات
[... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] {الزُّمر:10}	130
[فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة:37}	132، 133
[وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا] {طه:115}	133
[وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] {الصَّفات:139}	134
[إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ] {الصَّفات:140}	134
[فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ] {الصَّفات:141}	134
[فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ] {الصَّفات:142}	134
[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ] {الصَّفات:143}	134
[لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {الصَّفات:144}	134
[... أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}	135
[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] {الأنبياء:88}	135
[كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ] {القمر:9}	136
[فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] {القمر:10}	136
[فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ] {القمر:11}	136
[وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ] {القمر:12}	136
[وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ...] {التَّحريم:3}	138
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ...] {الأنفال:27}	142
[بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ] {الزُّخرف:22}	148
[... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ] {الزُّخرف:23}	148
[وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ ...] {الأنبياء:74}	148
[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ...] {هود:82}	149
[مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ] {هود:83}	149
[وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ] {الفجر:10}	151، 152
[... فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ...] {القصص:38}	151
[وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ...] {العنكبوت:39}	151
[... وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] {يونس:87}	151
[قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ...] {طه:71}	152
[وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ...] {البقرة:49}	152
[وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ...] {يونس:90}	152
[آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] {يونس:91}	152

الآيــات	الصفحات
[فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ...] {يونس:92}	152
[قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ] {البروج:4}	154
[النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ] {البروج:5}	154
[إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ] {البروج:6}	154
[وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ] {البروج:7}	154
[وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ] {البروج:8}	154
[الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] {البروج:9}	154
[... فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ] {البروج:10}	154، 155
[كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ] {الشعراء:141}	156
[إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ] {الشعراء:142}	156
[إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ] {القمر:27}	156
[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا] {الشمس:11}	156
[فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا] {الشمس:13}	156
[فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا] {الشمس:14}	156
[فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ] {هود:65}	157
[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ...] {هود:66}	157
[وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ] {هود:67}	157

ثانياً: – فهرس الأحاديث النبوية:

الأحاديـث	الصفحات
لا يشكر الله من لا يشكر الناس ...	هـ
حديث جبريل ...	7،19
أمتهوكون أنتم ...	9، 90
إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ...	11
لو أن الله عذب أهل سماواته ...	11
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ...	12
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ...	12
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ...	13
ما ترون أني فاعل بكم ...	13
كان في بني إسرائيل رجلان ...	26
يا غلام أو يا غليّم ألا أعلمك كلمات ...	29
إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما يعمل ...	31
سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ...	39
أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقا ...	44
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرء ما نوى ...	45
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ...	46
أن رجلاً كان قبلكم رغسه الله مالاً ...	47
من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته ...	49
اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشي ...	51
فإذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة ...	52
قلت يا رسول الله: ألا تستعملني ...	54
كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ...	55
فهلا جلست في بيت أبيك وأمك ...	56
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...	59
شأن المرأة المخزومية ...	61
حكمت بحكم الله أو بحكم الملك ...	62
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ...	67
الدين النصيحة قلنا لمن ...	67

الأحاديـث	الصفحات
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.	70
ارم سعد فداك أبي وأمي ...	71
كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ...	71
إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة.	74
اتق الله حيثما كنت ...	75
أتدرون من المفلس ...	76
إني نحلت ابني ...	83
عجباً لأمر المؤمن ...	91، 130
أنتم خير أهل الأرض ...	91
مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ ...	96
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ...	98
كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ...	98
من قام بعشر آيات ...	99
اقرأ علي، قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ ...	102
اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ...	103
كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ...	104
قال رجل لأتصدقن بصدقة ...	108
ذبحوا شاة فقال ﷺ ما بقي منها ...	108
ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ...	110
إن ربكم حيي كريم ...	111
شيبتني هود والواقعة وأخواتهما.	113
قل آمنت بالله ثم استقم.	113
قال: ينام الرجل النوبة ...	115
لكل غادر لواء يوم القيامة ...	117
التاجر الصدوق الأمين ...	117
قال ﷺ: صدقتا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم ...	117
كذب قد علم أني من أتقاهم لله وآداهم للأمانة.	118
أربع إذا كن فيك ...	118

الأحاديـث	الصفحات
اشترى رجل من رجل عقاراً ...	118
ذكر رجل من بني إسرائيل ...	118
إنه ليغان على قلبي ...	122
لتؤدُن الحقوق إلى أهلها ...	122
الآن بردت جلدته ...	122
إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة ...	126
من كظم غيظاً وهو قادر ...	128
كل الميت يُختم على عمله إلا المرابط ...	130
إذا مات ولد العبد ...	131
دعوة ذي النون إذ دعا بها ...	135
كان بين آدم ونوح عشرة قرون.	136
إن نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة ...	137
ذكرت شيئاً من تبر عندنا ...	139
إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص ...	144
انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ...	145
لتتبعن سنن من قبلكم ...	148
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ...	149